فرويد

حيـاته وتحليله النفسى

مراجعة الاستاذ الدكتور

احمـد عكاشـــة

استاذ الطب النفسى بكلية طب عين شمس

دار ومطـابع المسـتقبل

بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة

والنشر ببيروت

نشأة فرويد تصوغ حياته وأفكاره

اذا كان حقا ما يقول به السلوكيون ، من أن حيـــاة الفرد تتأثر تأثرا دائما بنشأته وبسنوات حياته الاولى ، فان حيـــاة سيجموند فرويد Sigmund Freud (وينطقونها بالالمانيـــة التى تكلم بها : فرويت) قد تأثرت تأثرا كبيرا بتلك النشأة وتلك الســـنوات الاولى من حياته .

فقد ولد سيجموند فى فرايبرج بمقاطعة مورافيا (الان بريبور بتشيكوسلوفاكيا) فى ٦ مـــايو ١٨٥٦ . وكان والداه يهوديان من من أصل نمساوى . وكان والده جاكوب Jacob تاجرا صغيرا للاصواف ، وجده لوالده من القساوسة اليهود .

وأما والدة سيجموند فكانت صبية صغيرة ، تزوجها والده بعد ما جاوز الاربعين ،وبعد وفاة زوجته الاولى أمـــالى Amalie ولم تكن الام حين ولد سيجموند قد تجاوزت العشرين من عمرها وكان سيجموند هو الابن الوحيد لوالدته ، اذ توفى بعد ولادته

بعام ابنها الثانى ، يوليوس Julius ، وهو الذى ذكر فرويد أنه كان « يغار منه غيرة شديدة » • ولكن كان للاب أبناء عديدون من زوجتـــه الاولى • ومن هؤلاء رجلان بالغان • وقـــد تزوج أحدهما وقت زواج والده الثانى ، وأنجب ابنا أسماه جون John كان زميق سيجموند فى صباه • وقـــال عنـــه سيجموند أنهما كانا « يحيكان مؤامراتهما الصغيرة معا » •

ولم يحقق والدسيجموند من تجـــارته فى الاصواف أى كسب مادى كبـــير • ولذا تراوحت أحوال الاســـرة الكبيرة بين الفقـــر والاعتدال ، ولم تبلغ بها الحال قط حـــد الغنى • واضطر الوالد ، جاكوب ، أن يرحل بأسرته مرتين • الاولى الى لايبتزيج (الان المانيا الشـــرقية) والثانيـــة فى ١٨٦٠ الى فيينـــا ، العاصمة القديمـــة لامبراطورية أوروبا الشرقية • والتحق سيجموند بمدارس فيينا الثانوية منذ عام ١٨٦٥ •

وقد وصف تلميذ فرويد ومؤرخه ، أرنست جونز Jones علاقات ســـيجموند بأفراد عائلتـــه الكبيرة بأنها كانت « شـــديدة التعقيد » • وقال أن محاولات سيجموند « كشف معانى العلاقات الغامضة بينه وبين أفرادها الكثيرين كانت قلقة» •ولكن هذه العلاقات كانت هى بداية فهم فرويد للعلاقات الانسانية عامة •

وقال ريتشارد فولهايم Wolheim أن حب فرويد لوالده ، وتقديره له « قد اختلط عنده بالحسرة عليه ، كما بالخوف منـــه » وأن عواطفه « الحسية الحارة نحو والدته ، وامتعاضه من اخوته

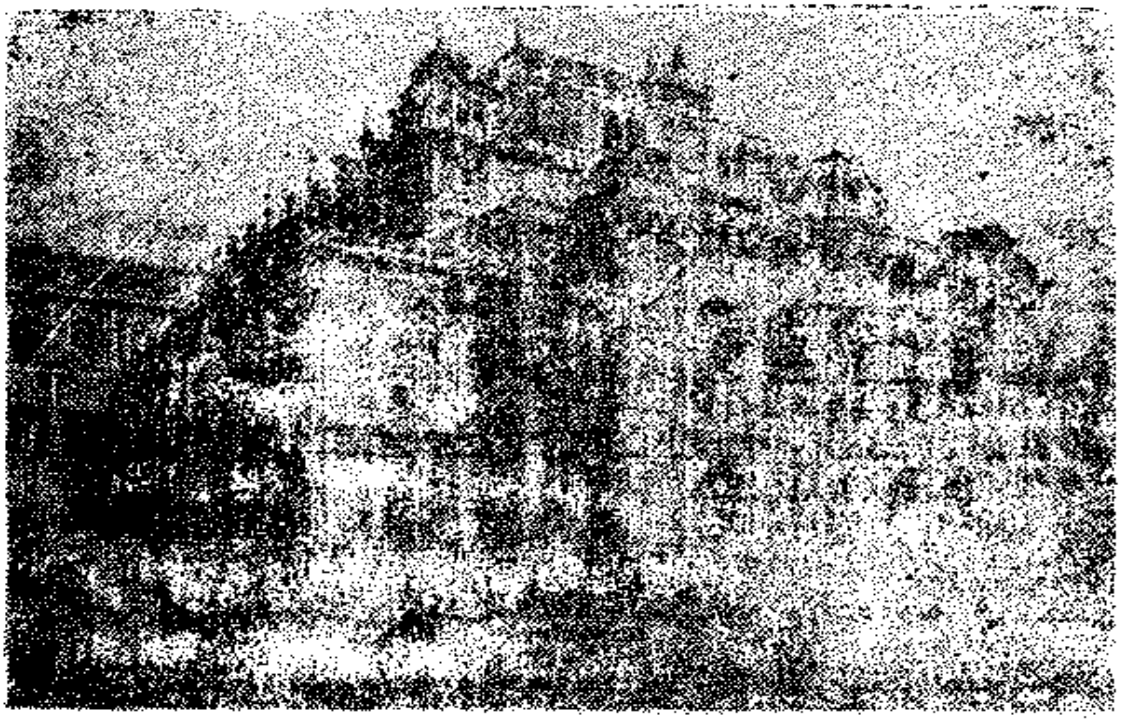

فيينـــا فى نهاية القرن التاسع عشـــر
وتمثل الصورة دار الاوبرا الشهيرة بها

الكثيرين الذين يفوقونه سنا ومرتبة . قد تركت آثارها فيه . وأن صور الكبار منهم قد حلت عنده محل صـــورة الاب . بينما كانت غيرته من صغارهم شديدة » .

وقد عاش سيجموند فرويد أكثر حياته فى فيينا ؛ فلم يبارحها الا لرحلة أو مؤتمر أو أجازة . ولكن ذكرياته فيها لم تكن سعيدة . ويلاحظ القارىء أننا نؤكد على هذه التفاصيل ؛ لان سيجموند حين أخذ بعد ذلك فى وضـــع نظرياته قد نظر . كما يقول فولهايم . الى نفسه والى أسرته ؛ قبل أن ينظر الى مرضاه ، ثم الى سائر الناس فهذا طبيب يهودى شاب ؛ من عائلة متوسطة ؛ بل نكاد نقول فقيرة فى مجتمـــع شـــديد المحافظة ، هو مجتمـــع احتضـــار العـــاصمة الامبراطورية الكبـــيرة . وهو ينظر بحكم تلك النشـــأة نظـــرته الخاصة ؛ لا الى العالم وحده ، وانما للعائلة والجنس والمرأة الخ مما سيأتى الكلام عنه .

يقول سيجموند فرويد انه كان يمشى مع والده يوما فى أحـــد شوارع فيينا . فاصطدم والدهبأحد أبنائها الارستقراطيين . فما كان من الاخير الا أن ..

« أمسك بقبعة والدى الجديدة ، فألقى بها فى وحل الطريق ، وهو يصرخ فيه : يهودى . يهودى . انزل من فوق الرصيف . لا تمشى فوق الرصيف يايهودى » .

ويضيف سيجموند أن والده لم يرد عليـــه بكلمة . وأنه التقط القبعة الجديدة ، والتى اتسخت بأوحال الطريق ، وانصـــرف من أمامه فى سكون ! .

ويقول سيجموند فرويد أيضا أنه قد أحس . منذ صباه ..

« باختلافه عن الغالبية العظمى من ابناء فيينـــا المسيحيين .
وبانفراده . وبوحدته . وبحاجته الى الاعتماد على نفسه »

وليس من شك أن هذه المؤثرات قد أثرت فى سيجموند تأثيرا شديدا فجعلته مثابرا ، عنيدا ، حتى أصبح يرفض معارضـــة . بل مناقشة ، أقرب الناس اليه . مما أدى فى أحيان كثيرة الى اختلافه مع عدد من أهم أصدقائه وتلاميذه .

وقد لقى سيجموند فى فيينا عنفا وكرها شديدين . فقد حاربه أطباؤها وعلماؤها فى بداية حيـــاته . ولم يعترفوا بعبقـــريته "لا مكرهين . ولا يزال الزائر لقاعات جامعـــة فيينـــا الى اليوم . يدهش من وفـــرة التماثيـــل المتناثرة فى أنحائها ، وجلهـــا لاسماء غير لامعـــة فى حقول العلوم الانســـانية ،وصغر وانزواء تمثـــال سيجموند فرويد بينها ! .

To: www.al-mostafa.com

هاو للفلسفة ودارس للطب

تمتع فرويد منذ حداثته بخيال واسع • وكان يتمثل نفسه غازيا من غزاة العالم كهنيبعل أو نابليون • ثم شغف بالقراءة • وكان ميالا الى الفلسفة •

وقد انحاز الى جانب المجددين والثائرين من العلماء وقتئذ ، من أمثال برنتانو وديه بواه وهيلمو هلتز وفيخنر وكيشنج وهوسكنز وڤرتيمان وبافلوف • ويذكر فرويد أنه قد دخل كلية طب جامعة فيينا بعد تردد طويل ، وعقب قراءته لمقال عن « الطبيعة » لجيته • ويقال أن فرويد قد أحب جيته منذ حداثته ، ولكنه كان « يتجنب » نيتشه • وأنه لم يقرأ شوبنهور حتى سنوات حياته الاخيرة •

دخل فرويد كلية طب جامعة فيينا فى عام ١٨٧٣ ، وتوقف عن الدراسة بها شهورا خلال عام ١٨٨٠ لاداء الخدمة العسكرية • ثم عاد اليها ، وأتم تعليمه الطبى فيها فى العام التالى ١٨٨١ • ولكنه عمل خلال أعوام دراسته النهائية مع اثنين من كبار الاطباء

النمساويين فى زمانه . وهما ميرنت Meynert وبريكه Bruche وقد أثرا فيه تأثيرا بالغا • ووجهه الثانى . خلال عمله معه بين الاعوام ١٨٧٦ و ١٨٨٢ فى معهد الفسيولوجيا الذى كان يديره ، الى دراسة التشريح الباتولوجى • وقد ذكر فرويد « أن بريكه هو الشخص الذى أثر فى حياتى أكثر من أى انسان آخر » • ثم عرف فرويد فى عام ١٨٧٨ أستاذه وزميله بروير Breur وعمل فى عيادته بعد ذلك سنوات •

وقد حاول فرويد عند تخرجه أن يعمل بالبحوث فى جامعه فيينا • ولكنه لم ينجح فى هذا رغم شدة ميله لذلك • وهذا ، كما قال بنفسه . ليهوديته • فالتحق بعيادة بروير . وتوثقت علاقته به خلال الاعوام التالية . وحتى عام ١٨٩٥ • حتى انقطعت تماما كما سيجىء ، فى ١٨٩٦ •

وفى خلال هذه الفترة الاولى من حياة فرويد ، قبيل . وأثر تخرجه من كلية طب فيينا . درس فرويد فى المستشفى العام بفيينا وعيادة بروير أعمالا شتى • منها على سبيل المثال : ميكانيكية التنفس فى الطيور ، ووظائف قنوات الاذن ، وطريقة سباحة الاسماك ، وتشريح أجنة الطيور • على أن أبرز دراسات فرويد فى تلك الفترة كان خلال العامين ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ على مفعول الكوكايين كمخدر موضعى وكعلاج لبعض الامراض النفسية • ويقال أنه كان على وشك تحقيق كشف تأثير الكوكايين كمخدر لولا تحوله عن متابعة بحوثه الى نواح أخرى فى العلاج النفسى •

العالم النمساوى الشهير بريكه الذى
تتلمذ عليه فرويد فى شبابه

وقد أجمع الدارسون . من بين أصدقاء وأعداء فرويد على السواء . على أنه فى دراساته كان واسع الاطلاع . دقيقا أشد الدقة . وأنه قد نبغ على الخصوص فى فسيولوجيا الخلايا العصبية وكمعالج للامراض العصبية .

يقول فرويد :

« ان مواهبى ، أو قدراتى محدودة للغاية . فليس لدى منها شيء للعلوم الطبيعية ، أو للعلوم الرياضية . وليس لدى منها شيء للقياسات الكمية .ولكن يلوح لى ان ماعندى من موهوب أو قدرات صغيرة ، حاد للغاية » .

ويضيف فرويد :

« ان تقديرى لانجازاتى كبير جدا . ولكن تقديرى لنفسى لايماثلها كبرا . لقد كان على الانسانية على طول الزمن أن تتلقى عن يد العلم الحديث ضربتين قويتين ، حطمتا حبهما الساذج لنفسها . الاولى عندما تأكد لها ان الارض ليست هى مركز الكون ، ولكنها جزء صغير من نظام عالمى لانكاد نحيط باتساعه . وتقترن هذه الثورة باسم كوبرنيكوس Copernicus ، مع أن بعض تعاليم الاسكندرية قد سبقت الى شيء منه . والثانية عندما جربت البحوث البيولوجية الانسان من نوعيته المنفردة كمخلوق . مميز عن غيره من المخلوقات ، وطوحت به ، مؤكدة نوعيته الحيوانية ، وسط عموم الحيوانات . وقد تمت هذه الثورة الثانية فى زماننا بايماز من تشارلز داروين Darwin وولاس Wallace ومن تبعهم ، وأمام معارضة صاخبة من معارضيهم . ولكن مابقى من خيلاء الانسان يتلقى الان ضربته الثالثة والاليمة على يد الانجازات التى تحققها البحوث السيكلوجية الحاضرة فان هذه الانجازات تؤكد ان نفس كل منا لم تعد لها السيادة

التامة . وان الانسان لم يعد ينفرد بقصـــره الخـــاص به. وان عليـــه ان يرضى بان يزاحمه في كامنته ، وداخـــل عقله ، دوافع وعواطف وكظوم كثيرة » .

ويضيف الينبرجر Allenberger ، أن فرويد لم يتأثر بثورتى كوبرنيكوس وداروين وحدهما . وانما تأثر أيضا بالثورة الجنسية التى قامت خلال النصف الاخير من القرن المنصى على يد كرافت ابينج Ebbing وهافلوك ايليس Ellis ممن سبقو الى التحدث عن أهمية الجنس فى الانسان . من دون البحث فى دوافعه وآثاره . ويؤكد الينبرجر أن فرويد ماكان مستطيعا القيام بما قام به من أعمال من دون الاطلاع الكامل ، والتأثر الايجابى . باعمال هؤلاء الرواد. ولعل من حقنا نحن أيضا أن نتساءل عما اذا كان فرويد مستطيعا أن يحقق انجازاته من دون المؤثرات الاسرية والاجتماعيـــة التى ولد ونشأ فيها ، الى جانب ماوقع فيه بعد ذلك من تأثـــير الرواد الذين تعرف عليهم .

لقد اعتبر فرويد نفسه « فيلسوفا » أكثر منه طبيبا . ووصف نفسه بأنه كان « هاويا » للفلسفة . وأنه يعتبر علمه الجديد ، أى التحليل النفسى ، فرعا من فروع العلوم الاساسية ، وليس الطبية

وكتب فى ١٨٩٦ :

« عندما كنت صغيرا كنت اتمنى ان احيط بالمعلومات الفلسفية والان ، وانا انتقل من الطب الى السيكلوجيا ، اشـــعر اننى اتقدم نحو ماكنت ارغب فيه . لقد عملت طبيبا معالجـــا رغم انـــفى » .

وقد شرح فرويد فى عشـــرينات القرن الحاضر العـــلاقة بين العلاج الطبى والعلاج النفسى . فقال :

« بعد اربعين عاما من النشاطالطبى يتضح لى اننى لم اعمـــل فى يوم من الايام كطبيب . وفي تقديرى أن على الاطباء الذين يرغبون فى العمل كمحللين نفســـانيين ، أن يتغلبوا في انفسهم على الجانب الذى اكدته فيهم دراساتهم الطبية ، وان يقاوموا ميولهم نحو الاعتماد على علوم الغدد والاعصاب وغيرها » .

حالة المريضة « أناأوه ANNA O »

عمل فرويد بعد تخرجه فى عيـادة أستاذه وصديقه بروييـر • وتعرف فى نفس العـام ، ١٩٨٢ ، على زوجته المقبلة مارتا بـيرنيز Martha Bernayz وكانت صبيـة صغـيرة تعيش فى هامبورج ، كبرى مدن المانيـا الشمالية وقـد قابلها فرويد بعـد ذلك مرات ، وارسلها بانتظام ، ثم تزوجها فى سبتمبر ١٨٨٦ •

وقد نجح هذا الزواج بجميع المقاييس • فكانت تلك السـيدة القصيرة نوعا ، والمتوسطة الجمال ، خير عون لفـرويد فى منزله ، ولاولادهما الستة ، ومنظم لاعماله ولعيادته التى شغلت بعد ذلك ثلاث حجرات من منزله الكبير ، والتى كان فرويد يقضى فيها أكثر ساعات اليوم •

وكان فرويد أبا بطريركيا ، ينتظر الطاعة من جميع أفراد عائلته وتلاميذه • وكان يجتمـع بأعضاء أسرته كل ظهر على الغـذاء • ولكنهم لم يكونوا يرونه ، أو يجـروءا على ازعاجه ، فى سـاعات

عمله ،وكانت تلك الساعات طويلة ؛ اذ كان فرويد يعقد ثمانى الى عشر جلسات كل يوم لمرضاه . ثم يجلس للكتابة ساعات أخرى وكان يدخن خلال كتاباته وفى ساعات استرخائه السيجار .

وقد تعود فرويد بعد ذلك على أن يجتمع بعدد من أصدقائه مرة واحدة فى الاسبوع للعب الورق . وكان يلتقى بتلاميذه مرة مساء كل أربعاء . ولكن لما زاد عدد هؤلاء التلاميذ ؛ لم تعد تكفيهم حجرة عيادته . فأخذ بعضهم يجلس فيها ، واكتفى الباقون بالاستماع اليه من خارجها .

وكان فرويد يتمشى بين كل حين وآخر فى شوارع فيينا ، وخلال أشهر الصيف ، حول المزارع المحيطة بها . وقد زار خلال رحلاته العلمية ، التى كان يقوم بها منفردا ، أنحاء النمسا وألمانيا ، وبعض أماكن فى فرنسا وايطاليا واليونان .

وعندما تزوج فرويد من مارتا ، انتقلت للسكنى معها اخت زوجته مينا Minna وكانت أطول قامة، وأجمل شكلا، وأقوى على تحمل أعباء العمل من شقيقتها زوجة فرويد . فساعدت فى رعاية أفراد الاسرة ، وفى تدبير أمور المنزل والعيادة ، طوال خمسين عاما وحرمت نفسها مختارة من اتخاذ حياة زوجية أو مستقلة .

وقد شاء الكاتب اميل لودفيج Ludwig أن يرد دسخرية يونج Jung من هذا الوضع ، ومن دون أن يجرؤ ، أحد غيرهما من أصدقاء وأعداء فرويد على السواء ، على أن يقدم شبهة أو يحكى حادثة .

* * *

استاذ وزميل فرويد الطبيب برويير
الذى عمل معه في عيادة ودرس حالة آنا اوه

كان بروييـــر عندما عمـــل معه فـــرويد من أكبر أطباء فيينـــا وأشهرهم عنـــد ارستقراطييها • وكان يعالج بين عـــامى ١٨٨٠ - ١٨٨٢ مريضة بالهستيريا تسمى « بيرتا باباتهايم Bertha Pappenheim وتعرف حالتها بـــم « آنا أوه (Anna O.) • وكانت آنا أوه فتاة جميلة فى الواحـــدة والعشرين من عمرها • ويقال أنها قـــد أعجبت اعجابا خاصا بمعالجهـــا بروبير ، وأن هذا قد ســـاعد على نجاح علاجها • ولكن أيضا على هروبه منها ، ثم قطع صلته بها •

وكانت مظاهر الهســـتيريا تتمثل فى آنا أوه فى شـــلل أطرافها ، وعجزها عن تحريك أيديها وساقيها ، واضطراب نظرها ، واختلاف دقات قلبها - ورفضها شرب الماء ، والعجـــز عن التحدث بلغتهـــا الالمانية وتحدثها بالانجليزية •

وكان بروبير يستقبل آنا أوه فى المساء ، فتقص عليه روايات كثيرة لا رابط بينها • فلما استبدل وقت علاجهـــا بالصباح ، وجد أن كثـــيرا مما كانت تقوله قـــد أصبـــح ذا مغزى • ولمـــا أخـــذ يقارن بين أقوالها المسائية والصباحيـــة ظهرت له بضعة أشـــياء • وحينئذ فكر بروييـــر فى تنويمها لمســـاعدته على كشف التناقض والغموض فى بعض ماذكرته له •

---

* آثرنا استخدام الكلمات المعربة على المترجمة لدقتها ، ولتسهيل الـــدرس في اللغـــات الاجنبيـــة ، ولدلالة تأليفهـــا فيهـــا ، وخلوها من الشحنة المسبقـــة التى قد تحملهـــا الكلمة العربية وتجنب المفاضلة بين كلمات المدارس العربية المختلفة .

وقد وجد بروبير (وكان قد بدأ يطلع فرويد على حالتها ويناقشه فيما يجب عمله معها) أن أنا أوه كانت قد مرضت والدها طوال شهور حتى وفاته . وأن كل مظاهرها الهستيرية تعود الى تلك الفترة التى قضتها فى تمريضه . وأن أنا أوه كانت . زيادة على ذلك ، شديدة الكره لمدرسة انجليزية تعلمها تلك اللغة . وأن المدرسة قد قدمت الماء يوما لكلب لها فى كوب خاص بأنا أوه . فلم تعد أنا أوه منذ هذا الوقت قادرة على شرب الماء . واستبدلت بلغتها الالمانية خلال أزماتها لغة تلك المدرسة .

وعندما كشف بروبير عما وجد لانا أوه . وأبان عن دوافع وأسباب كبتها ، شفيت أنا أوه تماما من كل مظاهر الهستيريا . وغادرت عيادته من دون أن تعود اليها بعد ذلك .

يقول فرويد :

« ان علماء الاعصاب كانوا قد لاحظوا ان الكشف عن الدوافع المكبوته لاسباب القاق النفسى والهستيريا ، يزيل ظواهرها عن المريض . وان المريض الذى يكشف عما يدور في رأسه من احلام بالثرثرة الى المعالج الذى يطمئن اليه ، كثيرا ما تتحسن احواله » .

ويقول أيضا :

« ان المريض بالهستيريا يعانى من صدمة مؤلمة اثرت فيه تاثيرا دائما . وهو قد ينسى الصدمة . ولكن تنويم المريض يعيد الحادثة والدوافع التى ادت اليها الى خياله . فاذا كشف عنها الطبيب ، شفى من المرض » .

كل هذا كان معروفا عند علاج بروبير لانا أوه ، ولكن ما أضافه

بروبير يومئذ هو محاولته « تنويم » المريضة لمساعدتها على الكشف عن الكبت والدوافع • وقد سمى بروبير وفرويد تلك الطريقة « العلاج الكلامى Talking Cure » أو « تنظيف المدخنة Chimney Sweeping» • وأطلق عليه الفرويديون بعد ذلك اسم اسم « التطهير Catharsis »

وفى خلال تلك الفترة الاولى من حياته ، كان فرويد يجرى بحوثه التى تحدثنا عن بعضها • على أن فرويد حصل فى العام التالى ، ١٨٨٦ ، على منحه دراسية اختار لموضوعها درس «التنويم والايحاء النفسى » ولمكانها باريس ، حيث العالم الفرنسى الذائع الصيت وقتئذ شاركوه Charcot • ولم يكن أحد فى فيينا وقتئذ يؤمن ، أن كان قد سمع ، بما يقول به شاركوه • ولكن تجربة بروبير مع أنا أوه ، فتحت عقل ذلك العبقرى النمساوى ، وشجعته على أن يختار بنفسه موضوع ومكان منحته الدراسية •

وقد قضى فرويد فى باريس الفترة بين ١٣ أكتوبر ١٨٨٥ و ٢٨ مايو ١٨٨٦ • فدرس فى خلال تلك الفترة اللغة الفرنسية ، وكل ما استطاع من أعمال شاركوه • وقد تابع فرويد شاركوه فى محاضراته وبين مرضاه فى مستشفى سالبتريير ، وناقشه فى أشياء كثيرة ومن بينها حالة المريضة أنا أوه •

وكانت المدرسة القديمة فى درس وعلاج الهستيريا ترجع أسبابها عند المريض الى « الخيال» أو الى مرض فى «رحم»المرأة • ومن هنا سميت هستيريا • فالاسم يعنى فى اليونانية « الرحم »

ولكن شاركوه لم يكن يؤمن بهذه التعاليم القـديمة . وكان يكرر لتلاميذه : أنظروا دائما ، وفى كل الاحوال : الى الدوافع الجنسية ومع ذلك فعندما سمع شاركوه بعد ذلك أن فرويد يرجع بعد عودته الى فيينا أكثر الامراض النفسية الى الجنس ، لم يوافقه ، وعـاد يقول : ولكن هذا غير معقول ! .

من التنويم الى التحليل

عاد فرويد الى فيينا فى ١٨٨٦ ، فعمـل فى مستشفى كاسوبتر وافتتح عيادة خاصة فى جـزء من منزله • وقد اسـتمر فرويد فى شغل المنزل والعيادة ، لم يغيرهما ، حتى طورد من المدينة على أيدى النازيين الالمان فى ١٩٣٨ •

وقد ألقى فرويد بعد عودته بأسابيع من باريس محاضرة على أطباء فيينا عن طرق العـلاج التى شاهدهـا فى باريس • ولكن محاضرته لقيت فشلا ذريعا بين زملائه ، الذين سخروا من كلامه • بل أن محـضرة أوغرت صدورهم نحوه حين كاشفهم ببعض الكشوف التشريحية والنفسية المتقدمة فى باريس عنها فى فيينا •

وقد آذت تلك المحاضرة فرويد أمام زملائه ، وأضرت بعيادته ؛ حيث بقيت بعد ذلك شهورا طويلة فيما يشبه الكساد المادى •

واستمر فرويد فى مستشفى كاسوبتز حتى ١٨٩٣ ، ولكنه تركها فى عام ١٨٨٩ لدرس التنويم على يد بيرنهايم Bernhayem

فى نانسى بفرنسا • وقد حاول فرويد أثناء ذلك ان يعود للتعاون مع بروبير . ولكن هذا أخذ يبتعد عنه تدريجيا ؛ لاعتقاده أن فرويد قد أخذ يولى الناحية الجنسية لمرضاه أكثر من حقها • وأيضا لوثوقه من أن تلك الشهرة التى طغت على اسم فرويد قد تصيبه هو أيضا . فتضر بعيادته المزدهرة وقتذاك •

على أن فرويد نجح فى ١٨٩٣ فى نشر مقالة له مع بروبير عن « الميكانزمات السيكلوجية لظاهر الهستيريا » • وفى أن ينشرا معا بعد ذلك بعامين . أى فى١٨٩٥ . كتابهما «دراسات فىالهستيريا» وهو الذى تؤلف حالة أنا أوه واحد من أهم فصوله • على أن ثقة بروبير فى صديقه كانت قد تدهورت الى حد أن أنفرد كل منهما بكتابة بعض فصول الكتا ب• فلم يضعا اسميهما معا الا على مقدمته ! • وفى العام التالى لظهور الكتاب ، ١٨٩٦ ، أنهى بروبير كل علاقة له بفرويد •

وقد تضمن الكتاب المذكور عدة حالات هستيرية أخرى ، رمز لاهمها بالرمز «ايمى فون أن » و « لوسى أر » و « كاترينا » و « كينشيليا أم » • ولعل أهم تلك الحالات جميعا هى حالة مريضة فرويد « اليزابيث فون أر Elisabeth Von R » •

وقد استمر علاج فرويد لاليزابيث فون أر بين الاعوام ١٨٩٢ ، ١٨٩٨ • وكانت من أصعب الحالات التى صادفها • اذ بدأ فرويد بالعلاج التقليدى وقتئذ ، وهو محاولة تنويم المريضة ثم الايحاء اليها • ثم بمحاولة بروبير الناجحة مع أنا أوه ، تنويم

المريضة وتركها تسترسل فى الكلام • ولكن هـاتين الطريقتين لم تفيدا مع اليزابيث فون أر لما وجده فرويد من صعوبة تكاد تبلـغ الاستحالة فى تنويمها • وزيادة على ذلك ، كانت اليزابيث فون أر تصر عـلى رواية رواياتها كاملة . ومن دون أن تسـمح لفـرويد بمقاطعتها •

وحينئذ بـدأ فرويد الطور الثالث فى عـلاج الهستيريا عنـد الفرويديين ، وهى تركها ، تتكلم . وتتكلم،وتتكلم • فكانت هذه أول دراسة « تحليلية » الهستيريا •

يقول فرويد ان الهستيريا « تظهر وكأنها تلغى أساسيات علم التشريح ، أو كأنها لم تسمع بهـا » •

وكانت اليزابيث فون أر تعـانى أساسا من آلام فى ساقيهـا وعجز عن المشى السوى • وقـد قصت على فـرويد سلسلة من الحوادث الاليمة التى جرت لافراد أسرتها • فقـد توفى الاب • ثم تزوجت أختها مخالفة لرأى عائلتها وانفصلت عنهم بزوجهـا • ثم توفيت أخت أخرى خلال ولادتها • ووجدت العائلة أنها لم تعد تستطيـع التفـاهم مع زوجها • ثم مرضت الام • وهـذه كلها حوادث مؤسفة ، كما قال فرويد ، ولكن أين الدوافع التى أدت الى الكبت ؟ • انه لايجدها ! • واليزابيث فون أر تقول أنها تعرفها • وتكرر عليه ماقالت • حتى بدأت تتحدث عن شاب مال اليه قلبها • ويجتهد فرويد فى التعـرف على الشاب ، حتى تعتـرف أنه زوج أختها المتوفاة • نعم لقد مـال قلب اليزابيث الى زوج أختهـا •

وقد لامت نفسها بشدة على هذا الميل ، ثم ماتت الاخت ، فصارحتها كامنتها : الان وقد ماتت ، افرحي ، فقد تمهد لك الطريق ! .

لقد تحدث أرنست جونز عن نظام للدوافع الكامنة انتهى اليه فرويد بعد ذلك . قال ان فرويد قد انتهى الى أن الكامنة ليست متجانسة . فقد تجمع بين أفكار مختلفة ، بعضها قد يضاد البعض الاخر . ولكن هذه الافكار المختلفة قد تتعايش مع ذلك داخل الكامنة الواحدة . لان تزاحم هذه الافكار فيها لايعرقل استمرارها، كما لايعرقل ظهور بعضها من دون البعض الاخر . وقال أن الكامنة قد تتجاهل أيضا عامل الوقت ، فتخلط الافكار القديمة بالجديدة . وأن هذه قد تطفو كعاطفة طاغية وتحل محل الحقيقة الخارجية .

وقد تحدث فرويد بعد ذلك عن حالة مريضة أخرى بالهستيريا هي حالة المريضة « دورا Dora » . وكانت دورا في الثامنة عشر من عمرها . وكانت ظواهر الهستيريا تظهر عندها على شكل كحات طويلة ، تفقد خلالها صوتها . كما كانت تشعر بأعراض تشبه أعراض التهاب الزائدة الدودية . وقد وجد فرويد أن دورا تحب والدها وتكره أمها . ولكنها تحولت عن والدها ، وهددت بالانتحار اذ اكتشفت علاقة بين والدتها وبين صديق الاسرة « كيه K » وأن والدها قد اتجه بتشجيع خفي من والدتها ، نحو زوجة كيه . ووجد فرويد أن دورا نفسها كانت تميل الى كيه . ولهذا « تخيلت» دورا أن رغبتها في كيه قد أشبعت . وأنها قد حملت منه . وأن

ماظهر لها من علامات الزائدة الدودية هى عوارض حملها منـــه • ولكن الحقيقة أن دورا لم تضاجـــع كيه • وأنه الى جانب حبهـــا لكيه ، كان هناك ، كما وجد فرويد ، حبها القوى لوالدها • ورغبتها الشاذة ناحية والدتها ومربيتها • وبعد ذلك ميلها التدريجى نحو معالجهـــا •

* * *

ويلاحظ أن فرويد قد استفاد فيما أسماه بـــ « التحليل النفسى » بتفسير أحـــلام المريض ، مثلما استفاد بـــ « تداعى الافكار » • أى بترك المريض يتذاكر الحوادث العاطفية التى مرت به ، وأحدثت كظومه ، وفجرت أزماته • ولم يعترف فرويد بهفوات أو أخطـــاء أو نسيان يقع فيه مريضه ، مما أسماه بالالمانية Fehlleistungen ويطلقون عليه الان اسم « غلطة اللسان Freudisceh Versprecli ung فلكل واحدة من هذه معنى يجب أن يدرس ويمحص • وقد أعطى فرويد مثالا برئيس البرلمان النمساوى الذى جلس لافتتاح احدى جلسات البرلمان ، وكان فى عجلة للحاق بموعد ، فأخطأ فى كلماته وقال : قفلت الجلسة • بدلا من أن يقول : فتحت الجلسة ! •

وضرب فرويد المثل بنفسه حين قال ان الانسان كثيرا مايحاول أن يتجنب موضوعا ، فينسى موضوعا آخـــر يشابهه • وأن هـــذا كثيرا مايحدث عنـــد الحديث فى مواضيـــع تمس المرأة أو الجنس أو الموت الخ •

* * *

كانت مريضة فـــرويد تجلس على أريكة طويلة فى عيـــادته ، يتدلى من فوقها ضـــوء خافت • ويجلس فـــرويد من وراء رأس المريضة بحيث لا يزعجها بالتحديق فى وجهها • وكان فرويد يتحدث الى مريضته بصوت خافتوهادىء • وقد يربت على جبهتها بيده •

وكان فرويد يشجع مريضته على التحدث فى كل ماتريد ، ومن دون أية مقاطعة أو أسئلة • وكان غرض فرويد من جلساته المتكررة هو مساعدة المريضة على تحديد الدوافع والكظوم • فاذا ماوقعت عليها ، فقد كشفت لفرويد ، ولنفسها ، عن المرض ، فيكون التحسن الســـريع •

وقد ترك فرويد التنويم بعد ذلك الى التحليل ، لاسباب كثيرة منها أن نتائج العلاج بالاول ليست دائمة وكان يحـــذر من « الخلط بين ذهب التحليل ونحاس التنويم » •

وكان فرويد يحذر منأىايحاء سيكلوجى من المعالج للمريض ، كتشجيعه على اتخاذ طريق أو رواية يغرسها فيه معالجه • وكان يرى أن وظيفة المعالج تقتصر على « التفســـير » • ولم يكن يصر على أن يكون المعالج طبيبا ، بل كان يطلب أن يكون معالجـــا محايدا •

كذلك حذر فرويد من أى تماد بين المعـــالج والمريض • فمـــع أنه كان يرى أن نجاح المعـــالج يتوقف على ثقـــة وتعاطف المريض مع المعالج ، فان لهذين عنده حـــدودا صارمة يجب ألا يتجاوزاها شعوريا أو لاشعوريا • وكان يقول أن العلاقة بين المعالج والمريض خطيرة جدا « لانها تقـــوم على اعترافات الثانى للاول • وجلهـــا اعترافات جنسية » •

دور الجنـــس فى الاحـــلام

كان لفرويد ولع قديم بتفسير الاحلام • وقد وجد منذ افتتاحه لعيادته ، وبداية تبينه لكظوم مرضـــاه فيها ، أنه يحتـــاج الى أن يتعرف على احلامهم والىأن يستدل برموزها فى محاولة تفسيرها •

يقول فرويد :

« ان المفروض هو الا تظهر عنـــد النوم اية حركات نفسية • ولكن اذا ظهرت لنا بوادر منها ، فان السبب يرجـــع الى ان الشخص الحالم قد عاد الى مرحلته الجنينية الاولى • فالنائم لا يستطيع ان يتجنب مايظهرعليه من علامات نفسية تؤلف بعض حلمه • والاحـــلام هى الطريق الوحيد امـــامه للتخلص من عواطفه المكبوتة » •

فالحلم عند فرويد • •

« تحقيق مستور لرغبة غير واضحة ، او خفيـــة ، او مكبوتة مفهومة او غير مفهومـــة • وعلامة يبوح عن طريقها العقـــل ببعض اسراره الكامنة •• (ولكنه ايضا) علامة من علامات النيـــوروز (العصـــاب) • وكثـــيرامايواجهها المعالج كعلامة سيكوباثولوجية ، ولكنه ليس بكذلك » •

وقد وجد فرويد أن بامكانه أن يفسر أحـلام المريض ، جزءا بعد جزء ، مستعينا برموز تلك الاحلام ، للكشف عمـا فى كامنته . فالحلم عند فرويد . هو « الطريق الامثل (الملكى) لفهم الكامنة » وقد وجد فرويد أن كامنة كل شخص لاتضم تفاصيل متناثرة وغير وغير هامة من التجارب ، وانما « ردود فعل عقليـة » تتراكم فيما أسماه باللاوعى . وردود هذه الافعال تتطور كل يوم بمـا تكسبه من تجارب جديدة . حتى اذا جاء الوقت المناسب ، ظهـر بعضها ليواجه الصدمات النفسية التى يتعرض لها الانسان .

ووجد فرويد ان الغريزة الجنسية هى المحرك الاساسى للسلوك الانسانى . ومع ذلك . فقد أعطى فرويد تلك الغـريزة كثيرا من الجوانب التى تعارفنا على تسميتها بالجوانب « الاجتماعيـة » . فمفهوم الجنس عند فرويـد لا يضيق حول العمليـة الجنسـية وحدها ، وانما يتسع كى يشمل جوانب متعددة من النشـاطات . والطاقة الليبيـدية فيه تنصـرف عند النمو الى اهتمامات كثـيرة « غير جنسية » .

ومن ناحية أخرى ، أعطى فرويد سلوك الاطفال بواعث جنسية سافرة . وقـاده البحث فى الجنس فى الطفولة الى مركب أوديب

ولم يكتف فرويد بارجاع الامراض النفسية الى اضطرابات جنسية، وانما فسر السلوك الجنسى السوى بأنه تعبير عن سلامة هذه الغريزة

كذلك بدأ فرويد ، عقب وفاة والده ، فى تسجيل وتحليل احلامه الخاصة منذ طفولتـه ، أى تحليل نفسه ذاتيـا . فتأكدت له قوة

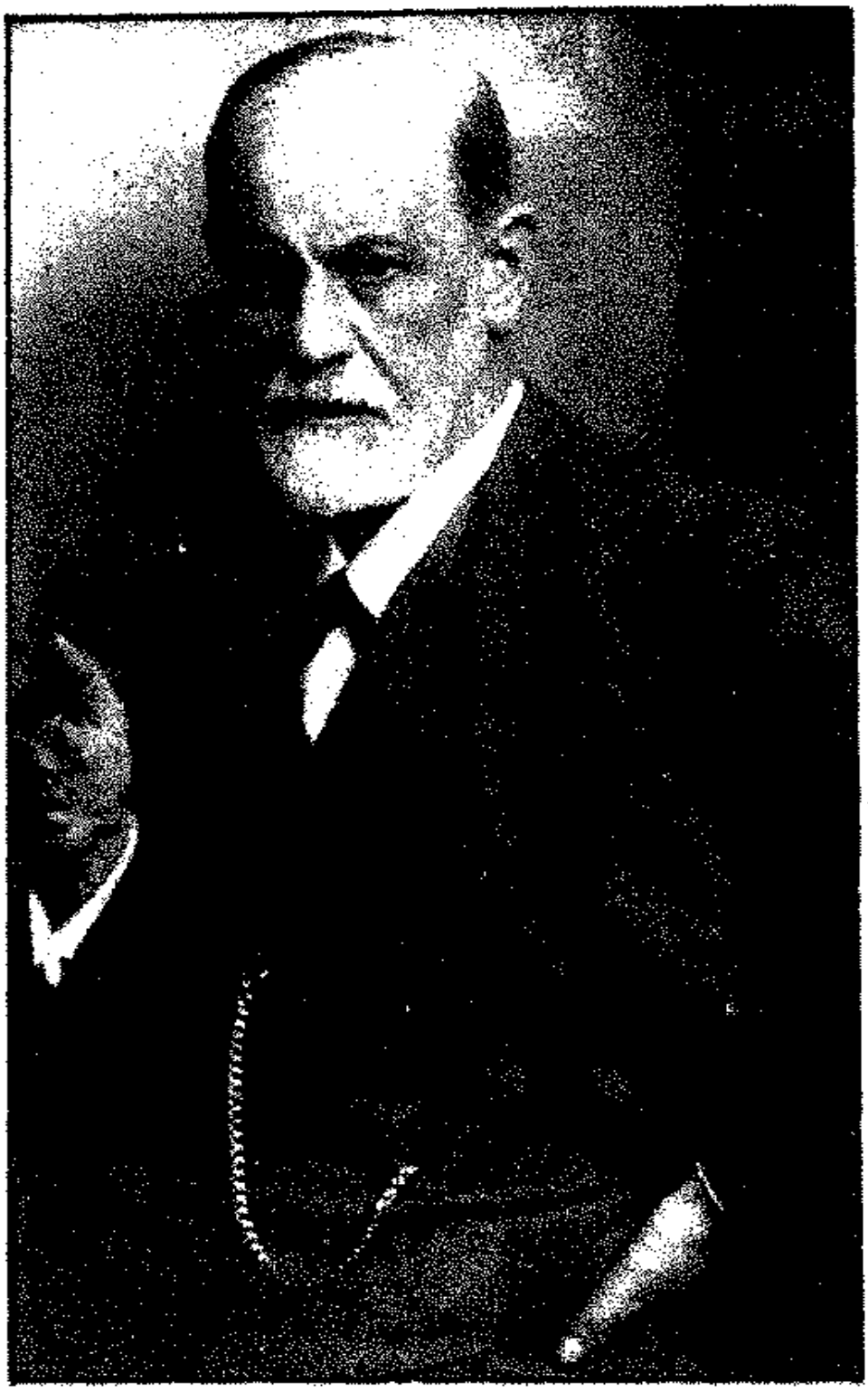

فرويد واقفا الى جانب والده

فرويد في السادسة عشرة

فرويد مع والدته في السادسة عشرة

فرويد (الثالث من اليسار بالصف الخلفي) مع اسرته وهو في العشرين

فرويد واقفا الى جانب زوجته

فرويد وزوجته ماريا في عام ١٨٨٥

To: www.al-mostafa.com

فرويد في نهاية القرن الماضي

أنوم والايحائي الفرنسي شاركوه الذي درس
عليه فرويد في باريس خلال محاضرة له

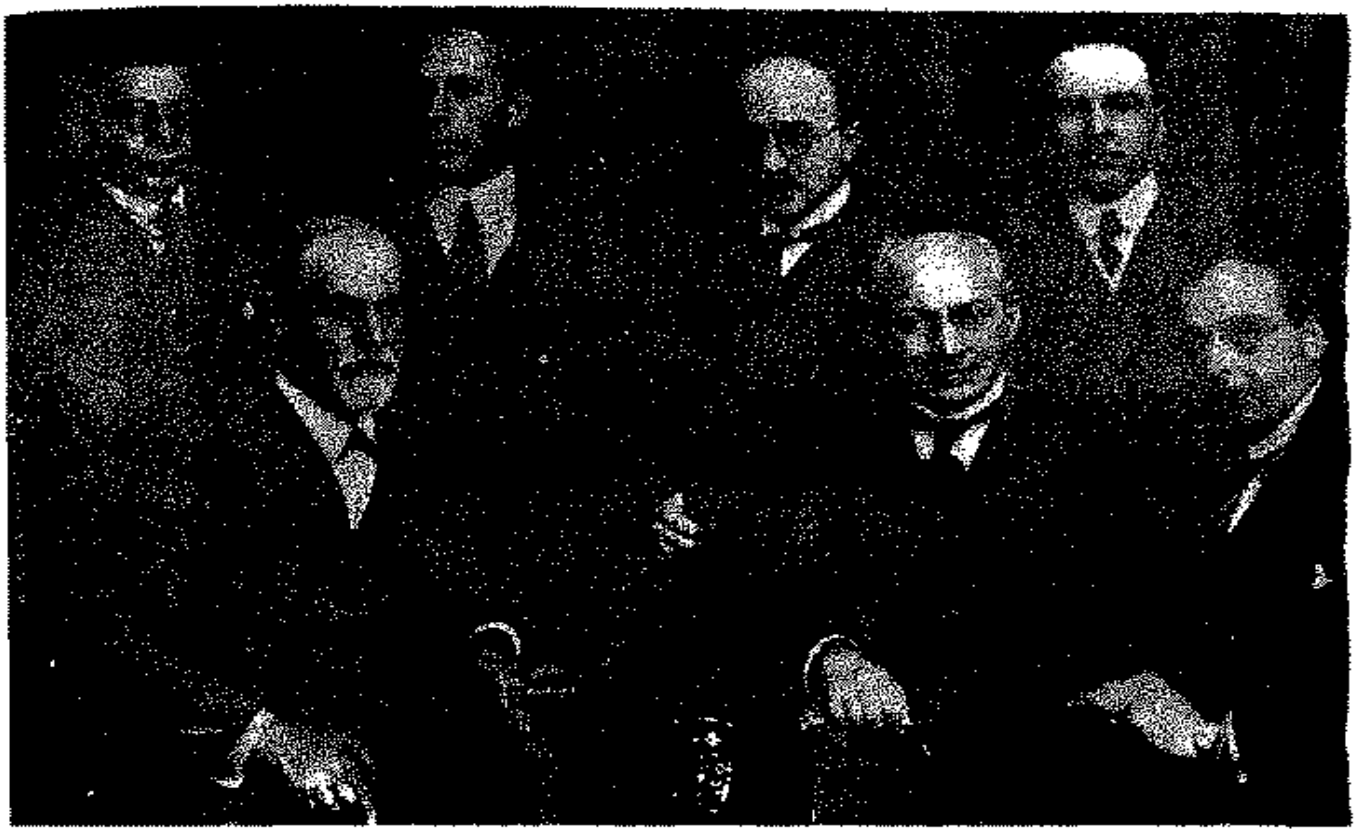

اللجنة الدولية لإنجاز المطلوبين النمساويين بألمانيا عام ١٩٢٢ . ويرى بالصف الأول من اليسار
لليمين : شرويدر - فيرنبرج - ساخس - وباستاني رانك - إبراهام - ابتجون - جهونسن .

فرويد مع صديقه فليس

فرويد وزوجته مع ابنتهما آنا

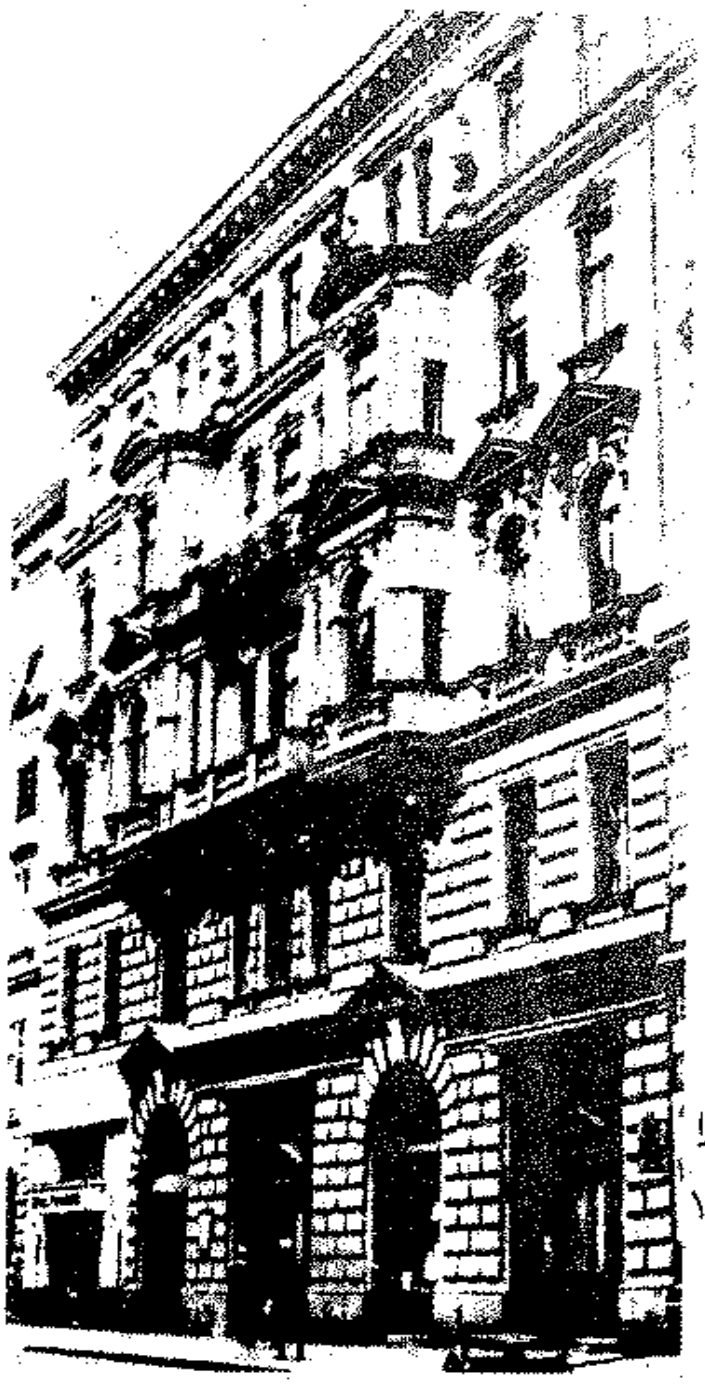

منزل فرويد وعيادته في ڤيينا وقد تحولا
الى متحف وطني منذ عام ١٩٧١

فرويد مع ابنته أنا

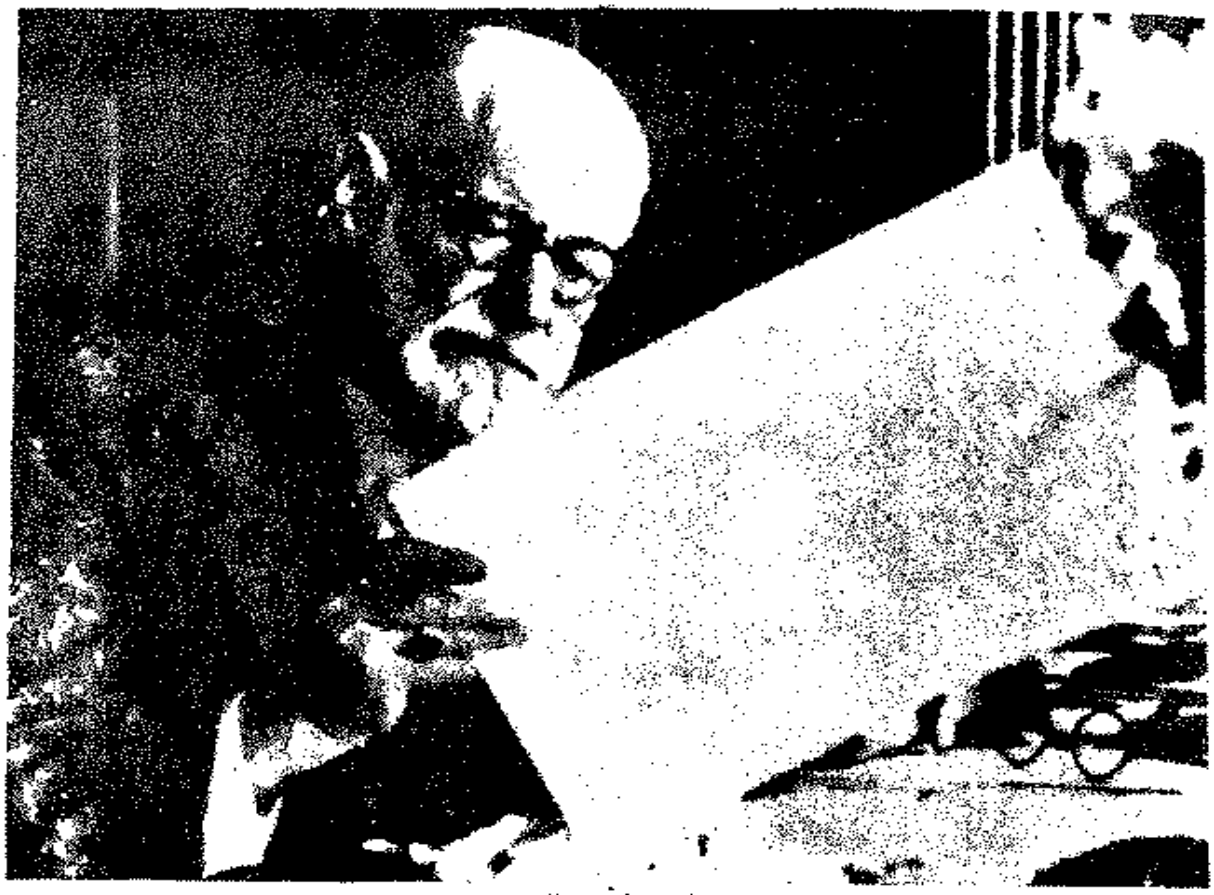

فرويد في لندن في أيامه الأخيرة

فرويد مع اثنين من أحفاده

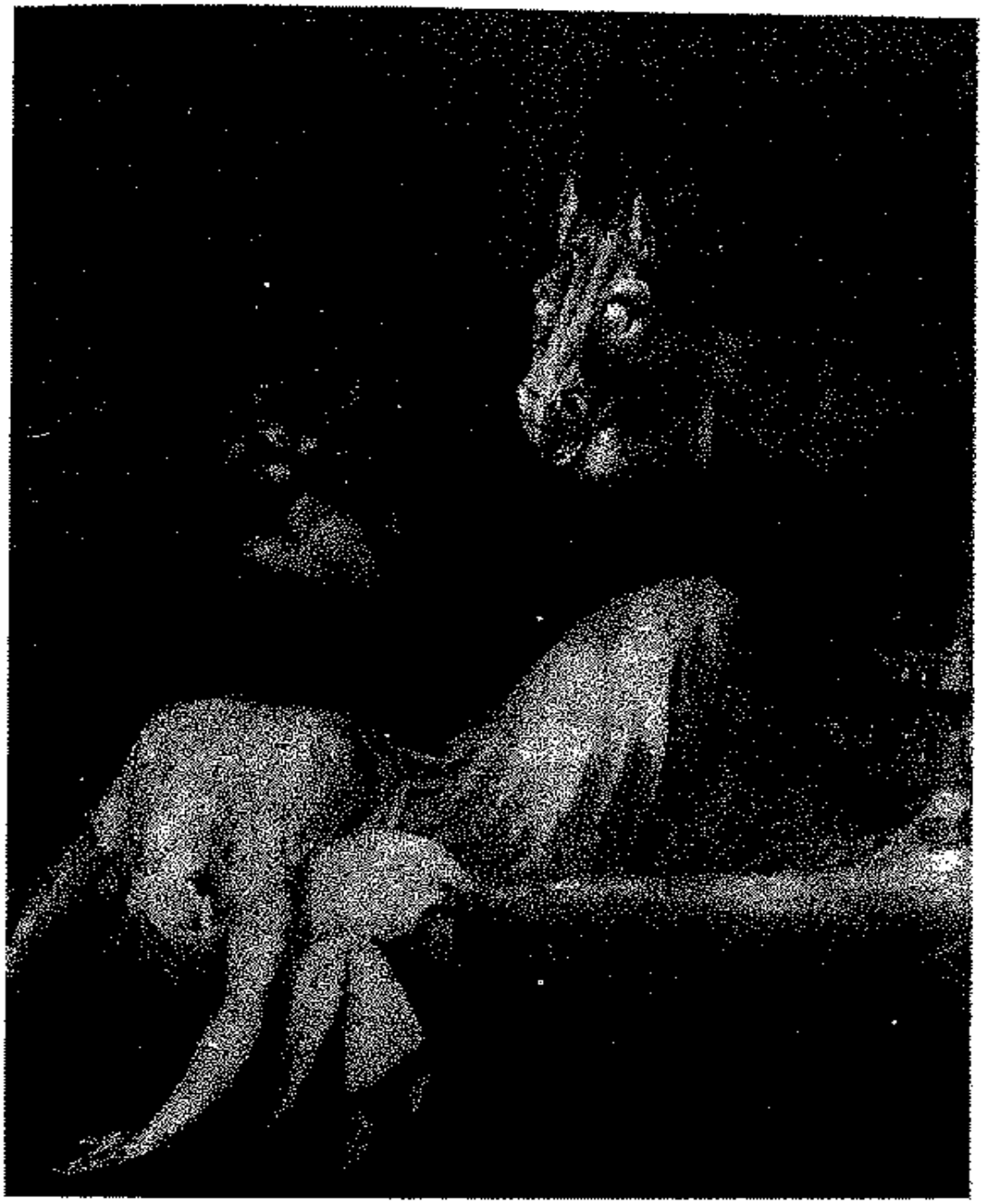

«الحلم» لوحة للفنان جويا

العلاقة بين الجنس والطفولة . وتأثير انحراف الجنس فى الطفل على ظهور علامات غير سوية فى البالغين .

ووجد فرويد أن رموز الاحلام كثيرا ماتظهر « رغبات جنسية فجة » . ولكنه حذر من أنه « لاينبغى الظن أن لجميع أحلامنا بواعث جنسية » .

فمثلا ، وجد فرويد أن « الملك » أو « الملكة » فى الحلم كثيرا ما يرمزان الى الاب أو الام فى الحقيقة .

وأن « السفر » أو « الخروج » قد يرمزان الى الموت .

وأن « الملابس » قد ترمز الى العرى .

وأن « العصا » أو « الشجرة » أو « المظلة » أو « المسمار » أو « السيجارة » أو « السكين » يرمز كل منها الى عضو التذكير فى الانسان .

وأن « القارب » أو « البوابة » أو « الزجاجة » أو « القوقعة » أو « العين » أو « التفاحة » أو « الصندوق » أو « الدولاب » أو « السفينة » يرمز كل منها الى عضو التأنيث فى الانسان .

وأن « الطيران » أو « الرقص » أو « الوقوع » أو «العزف على البيانو » ترمز الى العملية الجنسية .

وأن « سقوط الاسنان » أو « العمى » يرمزان الى الخصى أو العجز الجنسى .

* * *

يقوم مفهوم فرويد عن الجنس على نتائج الخبرات الجنسية الكامنـــة وراء أعراض مرضاه ، وتذكرهم لمواقف طفلية مبكرة يكتشفون فيها عن تلك الخبرات • وكذلك على نتائج درس مظاهـــر الشذوذ الجنسى ، حيث تبدو العملية الجنسية عند الفرد الشـــاذ جنسيا بعيدة عن نشاطاته الجنسية الفعلية •

وقد كتب فرويد طوال حياته عن الجنس ، وأهميتـــه ، وتطوره منذ الطفولة • ولكن أهم ماكتبـــه فى هذا الموضوع هـــو من دون شك دراسته « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » الذى نشـــر لاول مرة فى ١٩١٠ • وقد توالت بعد ذلك ، وخلال الاعوام الاثنى عشر التالية ، ست طبعات من هذه الدراسة عدل فيها فرويد ، وزاد ، فى كل منها • وسنعتمد فى هذه الفقرة على هذا الكتاب •

درس فرويد موضوع الجنس من زاويتين أساسيتين • الاولى هى تاريخه منذ بداية البشرية • والثانية هى موضوعه ، متجـــاوزا الموضوع الى مايحيط به من حواشى • وذكر فـــرويد أن موضوع الجنس قديم فى « البشـــرية » كما هو قديم فى « الفـــرد » • فمن الطبيعى أن يكون تأثيره قويا • وأن تكون غريزته صعبـــة الكظم • واذا ما حاولنا أن نكظمها ، أن تكون آثار هذا الكظم وبيلة علينا •

كذلك ربط فرويد ، كما يقول فولهايم ، بين تصـــرفات كثيرة فى حياتنا وبين الدافع الجنسى • وقال أن هناك ، الى جانب الغريزة الجنسية « عوامل جنسية » لابد من أخذها فى الاعتبـــار • كمثل النظر للغير ، ونظر الغير لنا • وكمثل لمس الغير ، ولمس الغير لنا •

وكمثل أحداث الالم بالغير ، وتحمل ألم الغير .

وقال فرويد أن الجنس يولد فى الطفل قبل الولادة . وأنه يمر قبل البلوغ ، بـ « مراحل » مختلفة وواضحة . وأن « تثبيتـه » على أى من هذه المراحل يعوق تطور الجنسية السوية للانسان .

وقال ان الجنس لايخدم فى بدايته غرضا محددا . ولكن هذا الغرض يكتسبه الوليد من حاجاته الضرورية ، وأهمها فى هذا الوقت حاجته الى التغذية بلبن الام . فتنشأ عنده غريزة الرضاعة . أى امساك الطفل بثدى أمه ومصه مصا منتظما . وتسمى هذه المرحلة التى تستمر حوالى العام « مرحلة سيطرة الفم Oral Phase »

ويكون فيها نشاط الفم هو أهم نشاطات الطفل . وتكون الام هى الشخص الذى تمس اليه حـاجة الطفل أكثر من غيره ، لا لمجـرد الطعام وحده ، وانما للطمأنينة التى يجدها الطفل بين ذراعيهـا . ومن هنا نرى أهمية الرضـاعة الطبيعية للمولود . وضرر تغـذيته بالالبان الصناعية . ويقول السيكلوجيون أن كثيرين ممن يعانون فى حياتهم من سوء الهضم ،وأحيانا كثرة التقيوء ، كانوا فى طفولتهم سيىء الرضاعة .

وترسخ آثار هذه المرحلة فيما بعد فى صورة « القبلة » .

ويذكرنا فرويد ان اكتشاف المولود « لذة » الرضـاعة من ثدى أمه تخلق عنده أولى مراحل الغريزة الجنسية . ويفسر تركيز هذه المرحلة حول فمـه ، التذاذه مص اصبعـه أو الحلمة الصناعيـة ، وكلاهما لا يغـذيانه . ولكن غريزة الرضـاعة فى الطفل غـريزة

« مكتسبة » يرى فيها فرويد نموذجا لكل مايليها من طبقات •

وقد عدد فرويد بعد ذلك ثلاث مراحل أخرى للغريزة الجنسية. الاولى حول الشرج • والثانية حول الاعضاء الشبقية • والثالثة ، وقد أضافها بعد ذلك : هى المرحلة القضيبية •

وفى المرحلة « الشرجية Anal Phase » يقل اهتمام المولود • بين السنة الاولى والثانية من عمره ، بنشاطه الفمى ، بعد فطامه ، واستهلاله السير • كما تبدأ الام فى توجيه اهتمام طفلها الى عادات التبول والتبرز وغيرها من مظاهر النظافة • فينتقل اهتمام الطفل ، نتيجة تلك الاهتمامات ، تدريجيا الى منطقة الشرج • وتنشأ عند الطفل لذة خاصة من ملاحظته لتأثير التبول والتبرز على من حوله ، ويتولد عن هذه اللذة ظهور علامات السرور والغضب الخ لنجاحه أو فشله فى التحكم فى اخراج بوله وبرازه •

وفى المرحلة « الشبقية Erotic Phase » تستمر نشاطات الطفل الجنسية فى المنح والمنع ، والسرور والغضب الخ • وقد ترسخ تلك النشاطات فيما بعد بمالها من قدرة على التوتر والارتخاء كما فى المستجنسين • أو تتطور عنها مشاعر العدوان والشعور باللذة من الالم كما بين المحبين •

وفى المرحلة « القضيبية Phalic Phasc » يبدأ الطفل من سن الثالثة الى حوالى السادسة ، فى الانتباه الى الاختلافات البيولوجية بين الجنسين • ويؤدى به اهتمامه الى الانتقال الى مرحلة جديدة ، يشعر خلالها الذكر بالخوف على عضوه الذكرى

من الخصاء نتيجة لخيالات جنسية طفلية تكون من أهم أسبابها المحارم الاجتماعية والخوف من الاب . واما الطفلة فتشعر خلال هذه المرحلة بالغيرة من فقدانها لقضيب مماثل لقضيب الذكر . وتصور لها خيالاتها أن هذا « النقص » يمس كمالها الجنسى وتغير من أمها التى « تمتلك » لنفسها رجلا خاصا بها .

يقول فرويد :

« ان البنات الصغار يلاحظن عضو التذكير فى اخ او قريب لهن فيقارن بينه وبين اعضائهن ، و« يقعن » فى حسده » .

ويقول دارسو فرويد

« ان هذه المقارنة ، وهذا الحسد « رمزى » وليس مادى وهو ينصب على مكانة الذكر الاجتماعية » .

وقد ذكر فرويد أن « اشباع » الغريزة الجنسية لا يتم ذاتيا . وانما عن طريق « مؤثر خارجى » . ولكن هذا ليس ضروريا فى جميع الاحوال ، لان الاوهام قد تساعدنا على اشباع الغرائز ، كما فى العادة السرية .

وذكر أن الاطفال ، أناثا وذكورا ، تتعلق جنسيا بأمهاتها . وينظر الطفل الى أمه على أنها « موضوع حبه Love Object » واذا حرم الطفل من هذا الحب ، قد يتحول عن الطريق السوى الذى يؤدى بعد ذلك الى أشباع غريزته بطريقة سليمة . وفى هذه الحالة ، قد ينجح الطفل فى التسامى بغريزته ، أو التأقلم معها ، أو الخضوع لها .

وفى المرحلة الجنسية الاخيرة ، تتعلق الصبية بوالدها ، ويستمر الصبى فى التعلق بوالدته ، فيما أسماه فرويد بـ« مركب أوديب Oedipus Complex » • ولكن تأثير هذا المركب يضعف بعد ذلك طبيعيا ، نتيجة تغلب التيار العاطفى الذى نطلق عليه أحيانا اسم « الحب » عند خروج الطفل الى المدرسة واختلاطه بالمجتمع الى جانب ماهو واقع عليه من تأثير أسرته ، مما قد يعرضه لصراعات ويحتاج منه الى كظوم •

فاذا لم يتجه الطفل ناحية المجتمع ، والى خارج أسرته ، فانه يقع ، خصوصا فى الفتاة ، تحت تأثير عوامل قد تؤدى به الى الانحراف •

الكشف عن مركب أوديب

تأكدت علاقة فرويد بفيلهلم فلييس Fliess في نفس العام الذى توفى فيه والد فرويد ، وقطع فيه فرويد علاقته ببروير ، عام ١٨٩٦ . والغريب أن فرويد كان قد تعرف على العالم البرلينى فلييس (وهو يصغره بعامين) عن طريق بروير ، حين حضر الاخير الى فيينا فى ١٨٨١ لحضور أحد المؤتمرات ، فقدمه اليه بروير ، وقد استمرت صداقتهما حتى عام ١٩٠٢ . وكانت من أقوى وأغنى الصداقات . فقد كان فلييس (وكان طبيب أذن وأنف وحنجرة) على تعدد اهتماماته ، متمرسا فى البيولوجيا والرياضيات كثير البحث ، شديد الذكاء ، واسع الخيال ، وأحيانا « الشطحات »

ومن « شطحات » فلييس على فرويد ، مما ندم عليه الاخير بعد ذلك ، بحث العلاقة بين الامراض النفسية وشكل الوجه ، خصوصا الانف . على أن خطابات فلييس لفرويد ، وخطابات فرويد اليه (وقد كشف عن الاخيرة فى سنة ١٩٥٠ فى برلين بعد أن

أنقذت من دمار الحرب) تؤكد الالفة والثقة الكبيرة التى كان يوليها كلٌ منهما فى الاخر • وقد ازدهرت تلك العلاقة بين الاعوام ١٨٩٤، ١٨٩٦، ، ثم أخذت فى التراجع منذ عام ١٩٠١ • وانتهت تماما فى ١٩٠٢، • وتوفى فليس صغيرا فى ١٩٢٨، •

لمـــاذا كان يغضب فرويد بهذه الشـــدة على أكثر من عرف من أصدقاء وتلاميذ ؟ •

لقد قيل أنها بعض شخصيته المتشددة ، والبطريركية ، والتى لم تكن ترضى له بالتسامح - أو مجرد قبول المناقشة ، مع أحـــد من أصدقائه وتلاميذه • وقيل أنها يهوديته ، واحساسه بالعزلة فى فيينا • وانها « انعكاس من غضبه السابق نحو والده » • وأنها خـــروج العديد من تلاميذه عليه • وأنها السرطان الذى أصابه منـــذ عام ١٩٢٣ واستمر يؤلمه ويعذبه حتى آخر حياته •

* * *

كتب فرويد لفليس بعد وفاة والده بأيام :

« ان وفاة والدى قد اثرت على تاثيرا قويا • فقد كنت اقدره تقـــديرا تاما ، وافهمه فهما كاملا • وقد لعب دورا كبـــيرا فى تشكيل حياتى ، بسبب تكوينه الذى يمزج بين الحكمة العميقة والفانتازيا الخفيفة • لقد عاش معى طويلا • ولكنه منذ توفى ، توالت عـــلى ذهنى صور الايام التى عرفتـــه فيها • اننى فى غاية الاسى » •

نعم • لقد هزت وفاة والد فرويد حياته من أساسها ، وطرحت أمامه أسئلة واستفهامات كثيرة • وجعلته يتساءل عن حقيقـــة مشاعره

نحو والده • وأيضا صدق ماوصل اليه من نظريات . ومافرض من علاجات .وما يواجهه أحيانا من مشكلات عويصة •

ويقول أرنست جونز : ان السلوك غير السوى للآباء (أو الكبار) نحو الابناءهو الذى يؤدى الى كظم غريزتهم الجنسيـــة . وظهور سمات القلق النفسى عليهم • ويؤدى هذا الى سلوك غير سوى من الابناء نحو آبائهم (ونحو المجتمع) • ويؤكد جونز أن شيئا من هذا قد حدث لفرويد وهو فى الخامسة من عمره •

ويقـــال أن فرويد قد نقـــل نظريته التى نتكلم عنهـــا « نظرية الاغواء Seduction Theory » والتى أطلق عليها أحيـــانا اسم « الصدمة الجنســـية The Sexual Trauma » عن شـــاركوه • وجعلها أهم أسباب النيوروز • ولكنه تخطاها بعد ذلك الى درس الجنس فى الطفولة ومركب أوديب • قيل لابعاد الشبهة عن نفسه وعن والـــده •أو ، كما كتب هو لفلييس : لانه من غـــير المعقول أن تكون اساءت الكبار للاطفال بهذا الانتشار •

على أن من تلاميذ فرويد المحدثين من يظن أن نظريتـــه كانت صحيحة • وأنه كان من الواجب عليه أن يتابعها والا يتركها •

* * *

وفى ١٨٩٥ أخذ فرويد باقتراح فلييس بأن يبدأ بتحليل ذاته ؛ محاولا أن يستعيد ، وأن يفسر أحلامه ، منذ كان طفلا • وكتب فى ١٨٩٧ الى فلييس :

« ان نفسى ، انا ايضا ، قد انتقلت بالحب لوالدتى ، وبالغيرة من ابى . حتى اننى اعتبر هذه المشاعر الان ظاهرة عامة تشمل جميع الاطفال . فاذا كان هذا صحيحا ، فانه يؤكد لنا حقيقة مركب اوديب » .

وكتب أرنست جونز : أن تطوير فرويد لاسلوب التحليل النفسى هو أحدى معجزتين بارزتين فى حياته . وأما المعجزة الثانية فهى تطبيقه لهذا الاسلوب على طفولته ، ثم اكتشافه لمركب أوديب .

وقد وجد فرويد فى تحليله لذاته أنه كان يغار بشدة من أخيه الاصغر يوليوس . الذى كان يصغره بعام واحد ، ثم لم يعش اكثر من أعوام قليلة . ووجد أن وفاته قد أصابته بالاسى والندم

وظن فرويد أن سبب قلقه النفسى بعد ذلك هو غيرته من ابن أخيه ، جون ، الذى كان يكبره بعام واحد . وكان « صديقا حميما وعدوا رهيبا » له . وكانا معا يحيكان المؤمرات الصغيرة على ماسبق القول .

ووجد أن حبه لوالدته وغيرته عليها كانا طاغيان . وأن مشاعره نحو والده كانت تتراوح بين الحب والكراهية ، وبين الاعجاب والاسى . وأن هذه المشاعر قد سببب له أحلاما مزعجة كثيرة وهو طفل . وروى فرويد أنه وهو فى السادسة ، وكان ينام بين والديه على فراشهما ، قد تبول فى الفراش . فثار عليه والده ، وقال له : انك لن تكون يوما شيئا ناجحا . وكان فرويد يتذكر هذه الكلمات بعد ذلك أمام كل تحد يصادفه ، فتملأه بالعناد . ولا تبرح الكلمات ذاكرته اذا ما واجهته صعوبة . وعندما كبر والده ، وأقعده المرض ، وأصيب بالعمى ، وأخذ هو فى مساعدته فى تغيير ملابسه ،

والتبول والتبرز على سريره ، كانت مشاعره نحو والده تتراوح بين الشماته والاسف ! .

* * *

اكتشف فرويد أن « مركب أوديب » هو « صميم مشكلة الجنس فى الطفولة . وبعد ذلك فى حياة البالغين . وحجر الاساس فى التحليل النفسى . (اذ هو) البذرة الاصلية والمحرك الفعلى فى الاحلام ».

ويصف فرويد مأساة أوديب الاغريقية ، حيث قتل الابن والده وتزوج من أمه ، بأنها « تصوير مستتر لرغبة الطفل فى بلوغ الفحش الذى يصده المجتمع عن اقترافه » . ويقول : « ان واجب كل انسان عصرى هو أن يتغلب فى نفسه على هذا المركب » .

وفى هذه المأساة الاغريقية يحذر المنجمون الملك مما سيفعله به ابنه . فيأمر الملك بأن يقتل وليده . ولكن الام تهربه من القصر الى بعض الرعاة ، فيربونه بينهم عارفين بحقيقته ، حتى يشب عوده ويقوى جسده ، ويلمع ذهنه . وحينئذ يتمكن الابن من العودة واغتصاب عرش أبيه ، والزواج من الملكة ، والدته . وينجب منها أبنائهما . ثم يجىء من يفتح عيونهم بالحقيقة ، ويثبتها لهم . فتقتل الام نفسها . ويفقأ الابن عينيه .

ولا ننسى هنا المعنى الجنسى الواضح ، عند فرويد ، للعينين . يقول فرويد : «أن الانسان السوى يشمئز من أى اتصال جنسى بين الاب ووالدته .. بينما هو فى الحقيقة يرجوه » ! . أنظر الى ماثبت من وجود شبه واضح بين الام والزوجة التى يختارها الابن .

ان الزوج كثيرا مايختار زوجته على غرار والدته .

« ومع ذلك .. فان هذه الحقيقة التاريخية (زواج الابن بأمه) التى يؤيدها ، بطريق غير مباشر فولكلور شعوب كثيرة ، لم تجد يوما من يجرؤ على التصريح بها ، فى أى حضارة من حضارات العالم » .

يقول فرويد :

« ان في خيالات المراهق دوافع صبيانية ، تظهر بين كل حين وآخر في احلامنا . ومن اهم هذه الدوافع ، الدوافع الجنسية التى تراود افكار الابناء ، كالنغمة المترددة ، نحو والديهم . ويحدد اتجاه هذه الدوافع نوع المولود . فبعد المرحلة الاولى من اتجاه المولود نحو والدته ، يرغب الصبى فى والدته ، ويغير عليها . وترغب الصبية في والدها ، وتغير عليه . ولكن مع رفض ، وتراجع ، هذه الدوافع الجنسية الاولى ، تتكون واحدة من اهم المعجزات السيكلوجية ، وهى كظم الصبى والصبية لهذه المشاعر تحت تأثير المجتمع ، وظهور الحب . فيكون تحرر الابناء على سلطة الاباء واستقلالهم فى المجتمع » .

يقول فرويد :

« ان القلق الذى يحدثه السلوك غير السوى فى الطفل ، يؤدى به الى خوف جنسى ، وهو خشيته من ان يعاقبه والده باستئصال قضيبه . ويؤدى بالصبية الى شعورها بالنقص لحرمانها من هذا العضو الذى تراه فى الصبيان . وينتهى هذا الى غيرة الصبى من والده ، وغيرةالصبية من والدتها ، ورغبة كل منهما فى الاستحواذ على مكان الوالد أو الوالدة » .

هذا الخوف الذى يتمثل فى خشية الطفل من اعتداء والده عليه ، دفه فرويد بعد ذلك صريحا فى حالة المريض « هانز الصغير

Little Hans » الذى ثبتت فى ذهنه تلك العقدة . واحتاج الى علاج طويل حتى شفى منها على يد فرويد .

واذا كان هذا هو شعور الرجل العادى نحو والده ووالدته . فما هو شعور الدون جوان أو الكازانوفا ؟ ! .

يقول فرويد : ان مثل هـذا الشخص قد تأثر بوالدته تأثـيرا زائدا ، لم يستطع التخلص منه . وأن اهتماماته الظاهرة بنسـاء كثيرات تخفى صعوبات جنسية بالغة معهن . وأنه كثـيرا مايكظم فى نفسه رغبة شديدة لاشخاص من جنسه .

* * *

لم يكن سهلا للعـالم . وحتى لاصدقاء وتلاميـذ فرويد . تقبول كل آراء فـرويد حول الجنس ، ودوره فى الطفولة . ومركب أوديب الخ لقد لقيت هذه الآراء معارضة قوية من الخاصـة . وساخرة بين العامة . وحتى بين أصـدقاء وتلاميذ فرويد . نجد « يونج Jung » يرفض تمييز الغريزة الجنسية عن غيرها من الغرائز فلا يسـلم لمركب أوديب الا بقيمـة رمزية فقط . ونجـد « أدلر Adler » يصر على أن العدوان هو أصل الغرائز كلها ، وأن لكل مشكلة سيكلوجية فى بدايتها مركب نقص عضوى .

وقد قطع فرويد علاقته بأدلر منذ ١٩١١ ، وبيونج منذ ١٩١٤ .

القلق النفسى يولد النيوروز (العصاب)

يظن أرنست جونز أن فـرويد كان قلقـا منذ طفولته • وأنه أصيب وهو فى الثلاثينات من عمره بأزمات قلبية متكررة . عزاهـا طبيبه الى انسـداد فى الشـرايين ، ووصفها جونز بأنهـا كانت « هستيرية » • وأرجـع فولهايم قلق فـرويد وهو فى طفولته الى خشيته من الموت ، وبالذات بسبب وفاة أخيه الصغير يوليوس • ثم وفاة ابنة فرويد « صوفى Sophie » فى طفولتها • وعنـدما توفى والد فرويد وهو فى الاربعينات ، ظنها فرويد « ضربة قاضية » لتعقد مشاعره وشعوره بالذنب ، الذى تحدثنا عنه ، نحو والده •

وكان فرويد قد لاحظ ، فى حوالى ١٨٩٥ ، العلاقة بين حـالات القلق النفسى والجنس • وقال أن أسباب القلق تعـود « لسنوات الطفولة ولطبيعـة الحيـاة الجنسية للطفل ، وتصـارع العوامل الشخصية والاجتماعية فى نفس الطفل ، واضطراره الى كظمها »•

ثم قال بعد ذلك أن انحباس الليبيدو يولد القلق • والقلق هو الذى يولد الكظم • وليس الكظم هو الذى يولـد القلق • وأما النيوروز (العصـاب) فيسببه ، عند فرويد ، الفشـل فى تحقيق

رغبات مكبوته • وهنا يمكن للانسان أن يتسامى بغريزته ، أو يتحول عنها . أو يخضع لها • ولكن هذا ليس سهلا ، لشدة العواطف التى تحكمة •

وكان فرويد قد قال أن سبب القلق قد يعود الى «اساءة جنسية» كثيرا ما يسببها أب . أو بالغ . للطفل • ولكنه فى ١٨٩٧ تخلى ، كما ذكرنا . عن هذه الفكرة جزئيا وقال : ان سبب القلق النفسى ليس بالضرورة اساءة جنسية من الاب للطفل » •

فاذا تمكن النيوروز (العصاب) ظهرت على المريض مظاهر وسمات غير عادية ، منها الارتياب ، والخوف . من أشياء محددة أو غير محددة . والاتيان بحركات غير عادية ، وظهور آلام حادة على بعض أجزاء جسمه •

ووظيفة المعالج ، عند فرويد ، هى التخلص من كل مايظهر من هذه الظواهر •

« لانها هى كل مايتبقى من النيوروز • وحقيقى ان الاطباء يفرقون بين المرض وظواهره ، ويعلنون أن التخلص من الاخير لايعنى القضاء على المرض • ولكن مايتبقى من المرض النيوروزى بعد القضاء على ظواهره هو قدرته على احداث ظواهر جديدة • ولهذا فاننا نرى ان القضاء على هذه الظواهر هو نفسه قضاء على المرض » •

وقد عالج فرويد فى فيينا عددا من المرضى بالنيوروز (العصاب) لعل أشهرهم هو الضابط فى الجيش النمساوى ، والذى يرمز اليه بأسم « الرجل الفأر Rat Man » • وكان هذا الضابط قد استشار

فرويد لاول مرة فى أواخر ١٩٠٧ ، واستمر علاجه حتى بداية عـام ١٩٠٩ • وقد نشر فرويد تفاصيل تلك الحالة أواخر ذلك العام •

شكا « الرجل الفار » لفرويد من خوفه الشديد عـلى بعض من يحب ، وهما أبيه واحدى السيدات • ومن تفكيره أحيانا فى التخلص من الحياه بقطع رقبته بموسى الحلاقة • فلما تحدث اليـه فرويد مرات ، ظهر له أن السبب الذى فجر مخاوف الضابط هو ماسمعه من زميل له فى الجيش النمسـاوى من أن الصينيـين كانوا اذا ما أسروا بعض الاسـرى ، يعذبونهم بتثبيت سلة بها فئران جائعـة حول مؤخرتهم • فلا تجد هذه الفئران أمامها سبيلا للخـروج أو للطعام الا قرض مؤخرات هؤلاء الاسرى ! •

وقد تأثر الضابط تأثيرا شديدا بما سمع • وأخذ يفكر فيما قد يحدث لاحبائه ، أى والـده وتلك السيدة ، اذا ماوقعوا أسـرى فى أيدى الصينيين ! •

وكان الضابط يروى قصته الغريبة ، على عادة مرضى النيوروز (العصاب) فى هدوء ، وعن اقتناع تام بها • وكان يثور لمناقشـة فرويد له فى تفصيلاتها • حتى أنه كاد يعتـدى عليه اعتداء بالغـا عقب احدى الجلسات • ولكن فـرويد وجد عنـدما استدرجه فى الحديث عن هذه السيدة ، أنها كانت حبيبة له ، ولكنهما افترقا منذ شهور ، وعندما استدرجه فى الحديث عن والده انه كان قـد توفى قبل تسع سنوات من تلك الرواية ! •

* * *

ان الخيال عند الفرويديين مهم كمثل اهمية الحقيقة ، حيث ان الاصل فى الخيال ، كما فى الحقيقـــة ، هو « الدافـــع » وآثاره على على النفس •

ولكن الفرويدية توحد بين الجنس وغرائز الحياة • وترى ان « الغريزة الجنسية Sex Instinct » هى مركز الطاقة النفسية وأصل النشاط العقلى • وأن الغريزة الجنسية تنشط طبيعيا عنـــد احتداد عاطفتها ، فتبعث الحركة فى الانسان •

وقد جعـــل فرويد من الغـــريزة « الجنسية » غريزة أســـاسية ومحركة لكل نشاطات الجسم • ولكنه سلم ، خصوصا فيما بعد ، بوجود غرائز أخرى • كغـــريزة الحب « ايروس Eros » التى تزيد ، وتحـــافظ ، على الاشـــياء • وغـــريزة المـــوت « ثاناتوس Thanatos » التى تدمر الاشياء • ومـــع انه رفض فى حوالى ١٩٠٩ قبول غريزة منفصلة لـــ « العدوان Aggression » تناظـــر غريزة « الجنس » • وكان هذا من أهم أسباب خلافه مـــع أدلر ، الذى تمسك أيضا بمركب النقص ، فانه قد عاد فى ١٩٢٣ فكتب :

« اننى أسلم الان بوجود غريزة للعدوان حتى وان كانت تختلف عن الغريزة التى وصفها ادلر » •

وكان فرويد قدلاحظ بعض أوجه الشبه بين غريزتى « العدوان » و « الموت » ولكنه كان دائم التشبث بالاخيرة ، لان « الغـــرض من كل أشكال الحياة هو الموت » • وكا ن قدلاحظ أن كل انسان متحضر

« يتجنب قدر المستطاع ان يتحدث عن موت الاخـــرين • بل انه لايتصـــور نفســـه متمنيا موتهم ، دون ان يتهم نفســـه في

مشاعره ، ووصفها بالقسوة وسوء النية . اللهم الا اذا كان طبيبا او محاميا او و شيئا من هـذا القبيل ، وكان عليه ان يتعامل مع فكرة الموت من وجهة النظر المهنية . وفى غير هذه الاحوال ، لايسامح الانسان المتحضر نفسه اذا تطرق تفكيره الى تمنى الموت للاخرين ، خاصة اذا كان في موت الاخرين بعض النفع له ، كان يحصل على حرية او يكسب بعض المال او يفوز بمركز من المراكز » .

الى أن يقول :

« لقد تعودنا أن نؤكد ان الموت ياتى بالصدفة ، فى حادث ، او بسبب مرض او عدوى ، او بفعل الشيخوخة . وبهذه الوسيلة كشفنا عن محاولتنا التقليل من شأنه . فبدلا من ان ننظر اليه كضرورة ، اعتبرناه حادثا وعرضا . ولكن ربما كان شعورنا تجاه الشخص المتوفى هو شعور المعجبين بشخص استطاع ان ينجز عملا شاقا وان ينتهى منه . فنحن نؤجل نقده . ونتجاوز عن اخطائه .. ونهتف صائحين : الله يرحمه .. ونجد في هذا التعبير مايبرر ان نستعيد محاسنه وان نتناسى مالا ينفع ذكراه ولكن فكرة موت الالاف تبدو لنا في نفس الوقت بشعة جدا ، الا مع الحرب التى تكتسح نظرتنا التقليدية الى الموت . فالحرب تواجه الانسان بالموت وتجبره على الاعتراف والاقرار به . لان الناس فى الحرب لايموتون بالاحاد ، بل بالعشرات فى وقت واحد ، بل بعشرات الالوف في اليوم الواحد . ولذا لايعد الموت فى الحرب صدفه، فان حصيلة الاحتمالات هنا لاتدع قولا للصدفة . وبانتفاء هذه الصدفة ، تستعيد الحياة اهميتها ومغزاها ، وتستقيم نظرة الانسان اليها » .

ويقول فرويد أن موقف الانسان البدائى من الموت « قـــد تميز بالتناقض » . لانه لم يكن ينظر الى الموت نظرة واقعية يسلم فيها بنهاية الحياة . ويتعامل معه بهذه الصفة .

« ويرجع هذا التناقض أساسا الى التضـــارب فى مواقفة من موت الاخرين من الاغراب والاعداء ، ومن موته هو نفســـه . فهو لم يكن يعتـــرض على موت الاخـــرين طالما انه يكرههم . فموتهم معناه ازالتهم من الوجـــود ، وهو لا يمانع فى هـــذا . ولكن الانسان البدائى لم يكن يتصور أنه هو ايضا سيموت ، مثله فى ذلك مثل أى انسان آخر . فاذا مات شخص عـــزيز عليه ، كزوجـــة او طفلة أو صديقـــة ، ممن يحبهم حبا جما ، فهنا يعرف انهو نفسه ليس بمنأى عن الموت . ومعذلكفربما احس احساسا غامضا ان موت هذا العزيز له مايبرره ، فقد كان فيه دائما جزء غريب ومعاد لم يكن قد استدمجه فينفسه .
« ويدعى الفلاسفةان صورة الموت قد حيرت الانسان البدائى ودفعته دفعا الى التفكير . وان تفكيره كان نقطة البداية لكل تفكير فلسفى على الاطلاق . ولا اظن الفلاســـفة علىصواب فيما يزعمون ، واحسب انهم قـــد شطحوا فى فلسفاتهم . وانا لذلك اشـــطح مثلما فعلوا ، فاقول : لم يكن الانســـان البدائى وهو يرمق جثـــة عدوه مطروحة في العـــراء ، يرهق ذهنـــه بالتفكير فى لغز الموت والحيـــاة . لكنه كان يزهو بما حققه عليه من انتصـــار . وكان يرفض تقبل موت العـــزيز ، وتتضارب ازائه مشـــاعره . ولهذا تقبل الانســـان البدائى الموت كحقيقة ، لكنه رفض أن يعترف بأن الموت نهاية الحياة . وتصور أن الارواح الشريرة تخرج من جسد الميت ، وتخيلهـــا عفريتا مرعبا ، قد يعود اليها ، ويحتـــاج الى ان يتخلص وان يتطهر منها قبل مخالطة غيره » .

فرويد يدرس الفنون ويحلل الشخصية الانسانية

أخذت مكانة فرويد فى الازدياد ، وشهرته فى الذيوع ، فى داخل وخارج النمسا ، منـذ بداية القرن الحالى • وفى عام ١٩٠١ بـدأ فرويد فى الاجتماع بتلاميذه فى عيادته مساء الاربعاء من كل اسبوع وفى ١٩٠٧ زار يونج فرويد فى فيينا • وفى العام التالى زاره فيها فيرنيتزى Ferencza • وعقـد المؤتمر العـالمى الاول للتحليل النفسى فى مدينة الموسيقى والاحلام « سالزبورج » فى جنوب غربى النمسا • وقد حضره يونج وأدلر بريل Boill وأرنست جونز •

وفى ١٩٢٠ ، اتفق فرويد مع ثمانية من أهم تلاميذه الاوربيين على الاجتماع بهم فى شكل مؤتمر مرة فى كل عامين فى مدينة أوروبية مختلفة • وقد أهدى فرويد ستة من أقرب هؤلاء التلاميذ بعد ذلك نسخة من الخاتم الذى يحمله فى أصبع يده اليمنى ، والذى يمثـل رأس كبير آلهة الاغريق جوبيتر •

وكان فرويد قد بدأ منذ عام ١٩٠٧ فى تطبيق التحليـل النفسى على الاعمال الادبية والفنية • وقد وجد أن الحاجة تمس لايجـاد منبر علمى ينشر فيه مع تلاميذه أعمالهم وبحوثهم ، فأصـدر مجلة

منتظمة جعل من أغراضها الاساسية ، الى جانب دراسة السيكلوجيا دراسة الاخلاقيات • وقد نشر فرويد فى ١٩١٤ « الطوطم والتابو (المحرم) » ، وفى ١٩١٦ كتابه عن « ليوناردو دافينشى » • وكان قد بدأ منذ ١٩١٠ فى نشر دراسته عن طبقات الشخصية الانسانية ، وهى التى جمعها فى ١٩٢٣ فى كتابه « الايجـــو (الانا) والايـــد (الهو) » •

ويقول أرنستة جونز أن مادفع فرويد الى تناول مشاكل الفنون والآداب والميثولوجيا ، كان هو بعض ماقرأه من آراء صديقه وتلميذه يونج حول هذه المواضيع • فقد وجد فرويد أن يونج يناقش هـــذه المواضيع مناقشة تاريخية ، وأحيانا أسطورية ، وحتى غيبية ، بينما كان فرويد يريد تحليلها سيكلوجيا وتفسيرها تفسيرا نفسيا • وقد امتد الخلاف بين فرويد ويونج بعد ذلك الى مواضيع أخـــرى ، من أهمها حقيقة مركب أوديب ومقام غريزة الجنس بالنسبة للغـــرائز الاخرى ودراسة الشيزوفرينيا (الفصام) •

يقول فرويد أن الشخصية الانسانية تتألف من ثـــلاث طبقات هى الايجو (الانا) والايد (الهو) والســـوبراجو (الانا الاعلى) ولكن هذه الطبقات افتراضية ،وليست مادية • وهذا التقسيم الافتراضى ، غير النهائى ، هو ما أطلق عليه فرويد بالالمانيـــة اسم « سيكلوجية الاعماق Tiefenpsychologie » أى أعماق النفس البشرية أو العلم الذى يكشف عما فى أعماقها •

وتتألف « الايد (الهو) Id » من مجموع الغرائز والعواطف التى تولد مع الانســـان ، والتى تحركها دوافـــع الرغبـــة واللذة

والعدوان ، كالجنس والطعام الخ • وهي تحتاج منـــه ، مهما كان التناقض بينها ، أو صعوبة تحقيقها بسبب العرف أو المجتمع ، الى تلبية فورية •

و « الايجو (الانا) Egoe » هو هذا الجزء الذي يتأثر بالواقـــع ويحس بالمجتمع ، ويقدر أن ماتطلبه غرائز الايد (الهو) ليس دائما مما يمكن تحقيقه • وان على الانسان العاقل أن يتصرف في حدود ماهو ممكن فقط •

وتتكون « السوبرايجو (الانا الاعلى) Superego كنتيجـــة لعلاقات الفرد مـــع أسرته أولا ثم المدرســـة والمجتمع الخ • فهي مايطلق عليه أحيانا اسم « الاخلاق » أو « الضمير » • ونواهيهـــا داخلية ، تتكون وتتبع من داخل الانسان ، بدلا من موانع (الايجو) الخارجية عنه •

والتباين بين هذه الطبقات الثلاث قد يكون كبيرا • والصراع بينها قد يحتـــدم ، ولكننا لانشعر بهذا الصراع في صحونا • وانما قد نشعر به خلال نومنا ، حين قد تفضحه أحلامنا •

* * *

ذكرنا أن نشاط فرويد كان كبيرا ومتعددا • فقد كان يستقبل ثماني الى عشـــر مرضى كل يوم ، ويكتب كتبـــه وبحوثه ومقالاته ، ويرد على خطاباته بنفســـه وبخط يده • وقد ذكـــر أرنست جونز أنه كان يرد على عشر خطابات من خطابات أصدقائه وتلاميذه خلال ساعة واحـــدة •

ولكن فى ربيع ١٩٢٣ تأكد فرويد من اصابته بسـرطان خبيث فى فكه الاسفل وأجرى أولى عمليات استئصاله • ولكن السرطان كان يعاود الظهور فى جهات مختلفة من الفك ، مما أرغم فرويد على اجراء علاجات كثيرة مؤلمة و ٣٣ عملية جراحية كبرى لاستئصاله • وكان أكثر هذه العلاجات وبعض العمليات يجرى دون تخـدير • وقد سبب السرطان آلاما هائلة لفرويد ، وتوفى فـرويد فى النهاية بسببه ، بعدظهوره واجراء أولى عمليات استئصاله ، بستة عشرعاما

وقد اضطر السرطان فرويد الى أن يقلل من نشاطاته • فأنقص زواره ومرضـاه • وأوقف محاضراته العامة لصعوبة نطقـه للكلمات • بل ورفض كل دعوة للطعام ، اذ أصبح لايستطيع المضغ فى سهولة ، وتأفف من ذلك أمام الاغراب •

وكان النازيون الالمان قد رفضوا الفرويدية منذ بداية ظهورهم فى المانيا ، وأخـذوا يحرقون كتبها منذ عـام ١٩٣٣ • فلما دخلت جيوشهم فيينا ، فى ١٩٣٨ ، ضيقوا على فرويد حتى اضطروه الى اغلاق عيادته• ثم منع من استقبال أصدقائه، حتى اضطر للتوقف عن الكتابة • ومع ذلك ، فمما يدل على طبيعته ، أنه حين أحس بالفراغ أخذ فى ترجمة مؤلف صغير عن السرطان من الفرنسية الى الالمانية

ولكن الرأى العام العالمى كان يضغط عـلى النازيين ، بحيث لم يكونوا يستطيعون المساس به رغم يهوديتـه وتبـاين أفكاره عن أرهم • ثم اضطروا بعد شهر واحد من دخولهم فيينـا للسماح بالهجرة الى انجلترا •

وقد استقر فرويد فى لندن فى أواخر ١٩٣٨ • ولكنه لم يمارس العمل فيها كمعالج • بل اقتصر نشاطه فيها على الكتابة وحدها •

وتوفى فرويد فى لندن فى ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩ عن ٨٣ عاما •

تواريخ فى حيـــاة فـــرويد

١٨٥٦. ولادة سيجموند فرويد فى فرايبرج بمقاطعة مورافيا .

١٨٦٠. الهجرة الى لايبتريج ثم فيينـــا .

١٨٦٥. بداية المرحلة الثانوية فى مدارس فيينـــا .

١٨٧٣. فرويد يختار بعد تردد دراسة الطب .

١٨٧٦/٨٢ الالتحاق بمعمل أرنست بريكه .

١٨٧٨. بداية علاقة فرويد بصديقه بروير .

١٨٨٠. الانقطاع عن الدراسة لاداء الخدمة العسكرية .

١٨٨١ الانتهاء من دراسة الطب والعمل فى حقل البحوث العصبية

١٨٨٢. فـــرويد يدرس مع بروير حـــالة مريضته « أنا أوه » ويتعرف على زوجته المقبلة مارتا بيرنيز .

١٨٨٢/٨٥ العمل طبيبا عصبيا بالمستشفى العام بفيينا .

١٨٨٥/٨٦ فـــرويد يحصل على منحة ويختـــار أن يدرس التنويم والايحاء على شاركوه فى باريس ، وعنـــد عودته يعمل فى مستشفى سالبتريير ويبدأ عيادته . -

١٨٨٦. الزواج من مارتا .

١٨٨٦ ، ٩٣ العمل بمستشفى كاسوبنتر بفيينا •

١٨٨٧ بداية علاقة فرويد بفلييس •

١٨٨٩ السفر الى نانسي بفرنسا لدرس التنويم عليدبيرنهايم

١٨٩٢ فرويد يجرب تداعيالافكار مع مريضته اليزابيث فون أر

١٨٩٥ فـــرويد ينشر مـــع بروير كتابه الاول « دراســـات فى الهستيريا » •

١٨٩٦ القطيعـــة معبرويـــير ؛ وبداية التعاون مـــع فلييس ، واستخدام تعبير « التحليل النفسى » ، وفى أكتوبر وفاة والد فرويد (عن ثمانين عاما) •

١٨٩٧ فرويد يراجع أعماله ويحلل نفسه ، فيكتشف الجنس فى الطفولة ومركب أوديب •

١٨٩٨ الانتهاء من كتاب « تفسير الاحلام » الذى نشـــر بعد ذلك بعامين •

١٩٠١ تدهور العلاقة بينفرويد وفلييس •

١٩٠٢ تعيينه استاذا غير متفرغ بجامعة فيينا •

١٩٠٥ فرويد يبدأ رسائله مع استاذ بجامعة زيوريخ بلوليير ، ويتعرف عن طريقه الى يونج •

١٩٠٧ فرويد يبدأ تجربة نظرياته على الآداب والفنون •

١٩٠٨ فرويد يحضر المؤتمر العـــالمى الاول للتحليل النفسى فى سالزبورج •

١٩٠٩ السفر الى الولايات المتحدة والحصول على الدكتوراه الفخرية من جامعة كلارك •

١٩١١ القطيعة مع أدلر ، وفتور العلاقة مع يونج .

١٩١٤ فرويد يقطع علاقته بيونج .

١٩١٥/١٧ تجهيز محاضراته التمهيدية متضمنة افكاره الكاملة .

١٩٢٠ نظريات فرويد تتسع لغريزة جديده هى غريزة الموت .

١٩٢٣ فرويد يتأكد من اصـــابة فكه بالسرطان ويجرى أولى عملياته لاستئصاله .

١٩٣٠ وفاة والدة فرويد عن خمسة وتسعين عاما .

١٩٣٣ النازيون يحرقون كتب فرويد فى برلين .

١٩٣٨ النازية تطارد فرويد من النمسا فيتركها الى انجلترا .

١٩٣٩ وفاة فرويد عن ٨٣ عاما

بعض سلبيات وايجابيات الفرويدية

تناولت الفرويدية « نفس » الانسان كعلم ، له قواعـده التى تماثل علوم جسده • ووضعته موضع دراسة مقارنة يمكن تحديدها وفهمها • وجعلت للانسان خواصا نفسية موحـدة يمكن القياس عليها وتحديد ما هو خارج عنها • وساهم فرويد بدراسات كثـيرة نحو فهم الشخصية الانسانية ، وتقديم الاجابات التحليلية والعلاجية والفلسفية لمشكلاتها • كذلك قدمت الفرويدية آراء هامة فى نواحى الاخلاق ، والفنون والآداب ، وألقت بنظـرات ثاقبة عـلى تاريخ الانسان ، ونشأة وتطور عقائده وأساطيره •

ومع ذلك •• هناك من يقول أن الفرويدية قد قامت على أساس أكلينيكى ، غير تجريبى ، يستهدف مساعدة المريض ، وليس تفسير ماهية مرضه • فهى ليست «علما» • أو هى تفتقر ، على الاقل ، الى أساليب القياس الرياضية التى تتميز بها العلوم الاخـرى • وأن التحليل السيكلوجى عند فرويد ، وفهمه للنفس الانسانية ، أقرب الى الفلسفة منه الى العلوم • وأن بعضهـا قد يؤلف « خيالات » فنان • أو هى مدلولات أو تفسيرات « لفظية » لبعض مئـات من مرضى النيوروز (العصاب) من الطبقة المتوسطة بفيينا • ففرويد

من هذه الوجهة . أقـرب الى أن يكون عالمـا لغويا قبـل أن يكون فيلسوفا أو عالما نفسيا ! .

ويؤكد السلوكيون . وعلمـاء الوراثة . على أن فرويد تجـاهل تجاهلا تاما العوامل البيئية والوراثية التى قد تؤثر ، من دون شك ، فى سلوك الانسان .

ومن بين علماء النفس من يعارض فرويد فى أصول وتفاصيـل كثيرة . بل أن أحدا منهم لم يوافقه موافقة كاملة عـلى ما أسماه بـ « غريزة الموت » .

ويتسـاءل بعض نقاد فـرويد والتحليل النفسى : هـل شفى التحليل الفرويدى مريضا واحدا ؟ ! .

ويقول غـيرهم أن فـرويد . بحكم جذوره اليهودية ونشـأته البطريركية ، قد قسـا قسوة شديدة عـلى المرأة . فقد أكد على نقصها البيولوجى والغريزى . وعلى غيرتها الجنسية المـسافرة من الرجل . ورأى فى «زهوها بجسدها تعويضا عن نقصها الجنسى » وفى« تواضعها رغبة دفينة فى مداراة هذا النقص » ! .

وعلاوة على هذا جعل فرويد من الحب مقابلا كاملا للشهوة . واعتقد أن ظهور الشهوة ، يعنى اختفاء الحب . وأن تفريج الانسان عن شهوته يعنى تخطيه للخط الفاصل بين الحب والشهوة ، وتخليه عن صفات المحب .

* * *

لم يعد العلاج النفسى المعاصر يبحث عن أصول الصدام النفسى . ولم يعد المريض يستلقى على أريكة الطبيب النفسى ، ويتردد على عيـادته مرات فى كل اسبوع . وانما أخـذ العـلاج النفسى يهتم

بمشاكل الحياة العصرية ، كالعمل والنجاح والمال ، ويستعين فى سبيل الوصول لنتائجه بكشوف العلوم الاخرى ، كالبيولوجيا والاجتماع .

وأصبح العلاج النفسى يرتضى دراسة سلوك الانسان ، بدلا من درس أحلامه .

ويستخدم الادوية المؤثرة على شخصية الانسان ، بدلا من تحليلها ، ويستعين بالعلاج الجماعى ، أو العلاج الدوائى ، فى تحقيق أهداف قريبة ومحددة .

ويحاول أن يقنع المريض بطريقة جدلية بضرورة اتخاذ طريق معين ، أو الاقلاع عن عمل شىء ضار .

ولكن فرويد لايزال للآن الرائد الاول للتحليل النفسى ، والسيكلوجى البارز الذى درس الجنس ، وتحدث عن دوافعه ، مثلما استبرغور الشخصية الانسانية ، وترك عنها فهما واضحا ومتكاملا . بل هناك من يؤكد أنه ، من دون منازع ، أعظم علماء القرن العشرين ..

وقد ظهر أثر فرويد البارز لا فى علم النفس وحده ، وانما فى علوم كثيرة كالفسيولوجيا والفلسفة والانثروبولوجيا والسوسيولوجيا والبيداجوجيا الخ ، وعلى نشاطات متعددة فى الآداب والفنون .

وقد سبق القول الى أن دراسات فرويد الاولى قد أشارت الى آثار الهرمونات الجنسية التى أكتشفت فى الذكر والانثى بعد ذلك .

وفى الفلسفة ظهر تأثير فرويد واضحا على المدرستين الالمانيـــة والانجليزية والامريكية . كما مثله الفيلسوف الالمانى ماركوس Marcos الذى أثر بشدة فى اليسار الاوربى . وبعد ذلك الامريكى . والسوسيولوجيين الامريكيين هورنى Horney وفروم Fromm اللذين عالجـــا . مع تلاميذهما المختلفين . مشاكل المجتمع والثقافة الغربية . كذلك أثرت المدرسة الانجليزية « المناهضة للطب النفسى Antipsychiatric فى المجتمع الغربى ببحوث ومناقشات كبيرة النفع .

وقد ذكر الشـــاعر الانجليزى أودين Auden أن فـــرويد « لم يعدبالنسبة لهذا الجيل شخصا ، وانما أصبح مناخا كاملا له ».

وفى القصة بالذات . ظهر تأثـــير فرويد واضحا عـــلى مدرستى توماس مان Mann وجيمس جويس Joyce بالذات . بل أننـــا لانجاوز الحقيقة اذا قلنا أنه ليس هناك أديب أوفنان معاصر يستطيع الآن أن يتجاهل السيكلوجية الفرويدية فى انتاجه . واذا التفتنا الى زاوية واحدة . هى علاقة الطفل بوالديه ، فهل يستطيع أديب أو فنان أن يصنع عملا أدبيا أو فنيا من دون أن يحيط بالأسرار الكثيرة التى كشف عنها فرويد فى هذه الناحية ؟ .

لقد قام دومينيك فوناندیه بدراسة لموسيقى موتزار Mozart فوجد أن شخصية « والـــد » موتزار تتسلط على موسيقاه . وأن بعض مقطوعاته تفضح الازمة بين هذا الموسيقى العظيم ووالده . وتعلو وتعلو كى تحتج عليه وتثور على استبداده به . وقد حاول موتزار أن يتزوج من حبيبة له ، ولكن والده منعه عن ذلك ، فاختار الموت على الحيـــــاة .

واذا نظرنا الى تأثير فـــرويد على الفنون السريالية . وجـــدنا أن السرياليين يعتبرون فـــرويد هو « الاب الروحى » لمدارســـهم . فهم لم يلتفتوا الى ما سبقهم من مذاهب . بـــل مزجوا عـــلى ضوء تعاليمه وبطرق غـــاية فى الابتكار والتجديد . بين الحقيقة والحلم . والجد والهزل . والصراحة والغموض . وقد لجـــأوا الى الرموز . والاساطير . واستعانوا بالجنس . وترجموا الغرائز . خصوصـــا غريزة الموت . كى يخرجوا لنا بأشكال جديدة من هذا الفن .

كتابات فرويد حتى الحرب العالمية الاولى

ذكرنا أن كشوف فرويد وكتاباته لم تلاق الا التجاهل و التصغير والسخرية فى احيان ، فى داخل النمسا وخارجها طوال سنوات كثيرة وأن آرائه ، خصوصا فى الجنس ، وعن مركب أوديب ، قد نفرت منه كثيرا من الاصدقاء والتلاميذ . حتى ان بروير قد قطع علاقته به بعد نشرهما لكتابهما « دراسات عن الهستيريا » . وعندما نشر فرويد كتابه « تفسير الاحلام » فى ١٩٠٠ اثار عليه ضجة كبيرة بين علماء وأطباء فيينا . رغم أن الكتاب لم يوزع فى طبعته الالمانية الاولى سوى ستمائة نسخة .

ومع ذلك ، فان هذه النسخ القليلة كانت بداية معرفة العالم الخارجي بفرويد وكتاباته . فقد سمع استاذ جامعة زيوريخ بسويسرا الالمانية « بلولير Bleuler » بهذا الكتاب ، وقرأ لفرويد بعض كتاباته الاخرى ، فاشتد اعجابه به وأخذ فى مراسلته . ثم قرر فى ١٩٠٧ أن ينتقل اليه زائرا مع تلاميذ جامعته ، فى زيارة شهيرة الى عيادته فى فيينا كانت أشبه بالحج . وقد قدم بلولير فرويد الى استاذ

سويسرى آخر . هو يونج . وكانت معرفته ببلولير ويونج هى بداية أكتشاف العالم الخارجى لذلك العبقرى الفيينى .

وفى ١٩٠٨ . اجتمع فرويد مع بعض من تلاميذه فى شكل مؤتمر علمى فى سالزبورج . وألف فى العام التالى . ١٩٠٩ ، فى فيينا « جمعية التحليل النفسى » . وفى نفس العام . سافر فرويد الى الولايات المتحدة لالقاء بعض المحاضرات وللتعرف على اساتذة علم النفس بها . وقد أهدته جامعة كلارك الدكتوراة الفخرية .

وفى ١٩١٠ . تحولت جمعية فيينا الى « الاتحاد الدولى للتحليل النفسى» الذى شمل أعضائه أكثر انحاء العالم المتمدن . وبين عامى ١٩١٢ و ١٩١٣ شارك فرويد فى أعمال مؤتمرات فيمار وبودابست وميونيخ . وفى ١٩٢١ و ١٩٢٢ شارك فى أعمال مؤتمر لاهاى وبرلين .

وقد أدت الخلافات بين فرويد وبعض اصدقاءه وتلاميذه ، كبروبير (١٨٩٦) وفليس(١٩٠٢) وأدلر (١٩١١) ويونج (١٩١٤) الى محاولة فرويد القبض على أزمة حركة التحليل النفسى والاتحاد الدولى . فأشترط أن يكون الاتحاد مسئولا عن تخريج علماء النفس : والاعتراف بهم ، وعقد اجتماعاتهم ، ونشر مطبوعاتهم وأن يكون تدريب العلماء الجدد على أيدى الاعضاء المؤسسين للاتحاد . واختيرت لجنة من بين هؤلاء الاعضاء لامتحان علماء النفس قبل التصريح لهم بمزاولة التحليل النفسى ! .

ويلاحظ أن فرويد قد أخذ يطبق نظرياته منذ عام ١٩٠٧ على الاعمال الثقافية والدينية . فنشر فى ذلك العام تحليله لكتاب

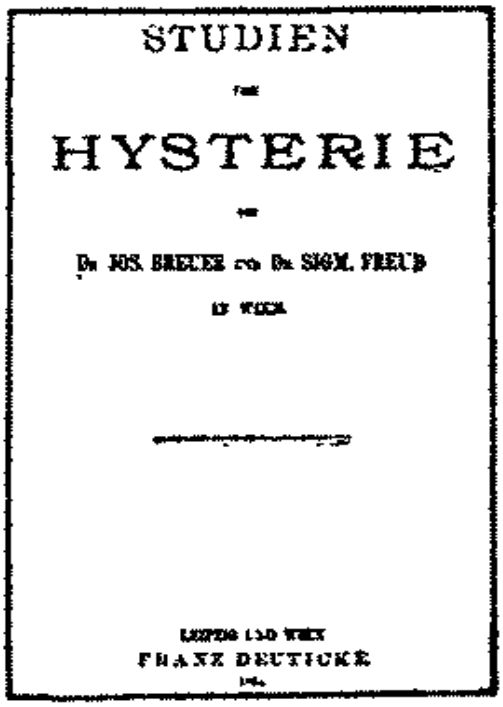
STUDIEN

über

HYSTERIE

von

Dr. JOS. BREUER und Dr. SIGM. FREUD

in Wien

LEIPZIG UND WIEN

FRANZ DEUTICKE

صورة غلاف الطبعة الاولى من كتاب بروير

وفسرويد « دراســـات عن الهســـتيريا »

المنشور في عـــام ١٨٩٥

يانسن عن لاجراديفا • وأنه قد أخذ يكتب عن الاساطير (الميثولوجيا) والدين منـــذ ١٩١٨ • وأنه قد نشـــر آرائه المتشائمة فى التمـــدن الانسانى وفى مستقبل الانسان منذ ١٩٢٩ •

* * *

نـــشر فـــرويد فى ١٨٩٥ ، بالاشتراك مـــع بروييـــر ، كتابهما « دراسات عن الهستيريا Studien uber Hysterie» وهو يضم ، بالاضافة الى المقدمة التى كتبها المؤلفان ، دراســـات منفصلة لكل منهما عن حالات الهستيريا التى صادفتهما • وقد سبق التحـــدث عن بعض هذه الحالات ، ومنها حالة « أنا أوه » لبروبير وحـــالة « اليزابيث فون أر » لفرويد • وكـــذا عن اختلاف وجهـــة نظر المؤلفين ، وهو الذى أدى الى أن يصف كل منهما حالاته مستقلا عن الآخر •

ويعتبر كتاب فرويد « تفسير الاحلام Die Traumdeutung » وهو الذى انتهى منه فى ١٨٩٨ ، ونشـــره للمرة الاولى فى ١٩٠٠ ، واحد من أعظم كتبه ، ومن أفضل الكتب السيكلوجية على الاطلاق • وقد أعيد طبع هـــذا الكتاب مرات كثيرة فى حياة فـــرويد • وكان فرويد يعيد تنقيح الكتاب ، ويضيف اليه ، فى كل مـــرة ، حتى تركه عند وفاته فى ضعف حجمه الاول •

ويتناول الكتاب نظريات فرويد فى تفسير الاحـــلام ، ومعانى رموزها ، ومغزاها فى التحليل الفرويدى • كما يضم بعد أحلام فرويد ، التى تفضح شيئا من خبايا حياته وأسراره •

وفى ١٩٠١ نشر فرويد كتابه « سيكلوباثولوجية الحياة اليومية Psychopathoaogie des Altagslebens وتحدث فيه، الى جانب عرضه

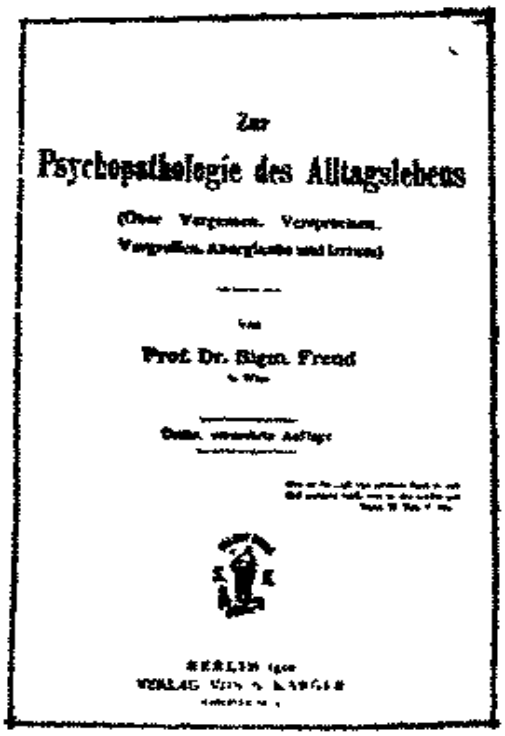
Zur

Psychopathologie des Alltagslebens

(Über Vergessen, Versprechen,
Vergreifen, Aberglaube und Irrtum)

von

Prof. Dr. Sigm. Freud

صورة غلاف الطبعة الاولى من كتاب
فرويد « سيكوباتولوجية الحياة اليومية »
المنشور فى عام ١٩٠١

لسيرته ، عن بعض نتائج تحليله الذاتى • كما تحـدث عن مغزى الهفوات ، والاخطاء ، وحوادث النسيان التى قد يقع فيها الانسان بلا قصد • فأرجع هذه الهفوات الى العواطف المكظومة • وضمن فرويد هذا الكتاب المقالة التى نشرها فى هذا الموضوع منذ ١٨٩٨ « الميكانيزم المحرك للنسيان » •

وقد نظر فرويد فى هـذا الكتاب للحب نظرة مادية صرفة • فأرجعها الى «غريزة حيوانية» فى الانسان ، تستقر فيه منذ قديم • وقال أن أى تغيير فى طابع الحب « الشهوانى » لايمكن الوصول اليه من دون المساس بالفوائد الحسية الضرورية لوجود الانسان •

وفى ١٩٠٥ استغل فرويد الاسطورة الاغريقية عن حب الرب ايروس للاميرة سيكو فى تقديم كتابه « ثـلاث مقالات فى نظـرية الجنس Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie » • وكانت ربة الجمال عند الاغريق ، أفروديت ، قد سمعت بجمال سيكو Psycho (وتعنى الكلمة الروح فى الاغريقية) وغارت منها • فأمرت أفروديت ابنها ايروس ، رب الحب ، بأن يعذبها • ولكن ايروس يقع فى غرام سيكو ، وينقلها الى قصر بازخ ، ويقنعها بأنه زوجهـا • ولا يزور ايروس سيكو الا فى الظلام ، ويطلب منها ألا ترى وجهـه • لكن أخوات سيكو ينجحن فى تحريضها على رؤية وجه حبيبها • فتقوم سيكو من مرقدها فى الظلام وتوقد قنديلا صغيرا ، وترى على ضوئه وجه ايروس ، وتتعرف عليه • ولكن نقطة زيت ساخنة من القنديل تقع على كتف ايروس العـارى فى نومه ، فيستيقظ • ويعـرف • ويغضب • وفى نفس اللحظة يختفى القصر الذى عاشت فيه سيكو •

ثم تأخذ افروديت بنفسها فى تعذيب سيكو . وتدبير المكائد لها . ولكن ايروس لايزال يحبها . فيساعدها مرات . ثم يذهب الى الرب تزيوس ويطلب اليه مساعدته فى التوفيق بينه وبين حبيبته . فيجعل تزيوس من سيكو ربة خالدة . وتلحق بحبيبها ايروس فوق جبل الآلهة : أولمب .

ويضم كتاب فرويد « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » أهم آرائه عن « غريزة الجنس » و « العوامل الجنسية » . ويتناول تطور « المراحل الجنسية » فى الطفولة . وأثره الجنسى على البالغين . وفى تكوين الانسان السوى والشاذ . ودور الجنس . ومغزاه فى الاحلام . كما يتحدث فرويد عن مركب أوديب . ومعناه وآثاره . وقد تناولنا هذا الموضوع فى بعض الفصول السابقة .

وقد ختم فرويد هذه المرحلة الاولى من حياته وكتاباته . حتى الحرب العالمية الاولى . بنشره فى ١٩١٠ لكتاب « حول التحليل النفسى Uber Psychoanalyse » . ثم بتجهيزه خلال تلك الحرب . أو بين الاعوام ١٩١٥ و ١٩١٧ . لمحاضراته التمهيدية التى جمع فيها ونقح أكثر افكاره وتعاليمه حتى نهاية هذه المرحلة .

المرحلة المتاخرة لكتابات فرويد

بدأ فـرويد فى القاء نظراته النفـاذة عـلى الفنون والآداب والاساطير منـذ ١٩٠٧ . ولكنه تحول تحولا كبيرا لدراستها منـذ الحـرب العالميـة الاولى • فنشـر فى ١٩١٣ / ١٩١٤ « الطوطم والتابو Totem und Tabuo » ويترجم التابو أحيانا بالمحـرم • و « الطوطم » كلمة من كلمات الهنود الحمر الامريكيين . ولكنهـا انتشرت فى أواخر القـرن الماضى بين علماء مختلفـين • والطوطم شىء طبيعى . ومادى . وقد يكون حيوانا . يرمز لشخص أو لقبيلة بدائيين • وقد وجد فرويد أن القبائل البدائية تستخدم «الطوطم» الذى يتمثل فى زواج الاقارب . لمنع الفحش • لان الاقارب كالابن وأمه . أو الاخوة والاخـوات . يحملون طوطما واحـدا • ولذلك لايجوز زواج أحدهم من الآخر • ونلاحظ هنا أن فكرة الطوطم قد طورت لدفع أذى بيولوجى . يحدثه فعـلا زواج الاقارب • ولكن الطوطم قد يعنى أيضا منع قتل الحيوانات أو الطائر الذى يحمـل طوطم الشخص أو القبيلة . لما يحمله معنى القتل للطوطم من أذى للشخص أو القبيلة التى يرمز لهـا •

و « التابو » يعنى امتناع هؤلاء البدائيين (ويظن أنه قد نشأ بين

سكان جزر جنوب المحيط الهادى) عن ارتياد أماكن . أو التحدث بأسماء أشخاص أو حيوانات الخ . لاسباب عقائدية • ولكن التابو يمتد أيضا الى كل مايتصل بتابو . فيصبح هو الآخر محرما • وفى ظن فرويد أن التابو قد نشأ عند الانسان البدائى هو الآخر لضرورة تجنب الفحش • وفى تابو الموت عند القبائل البدائية . وجد فرويد أن المغزى هو تجنب أخطار الموت وضرورة استمرار الحياة • وعند تلك القبائل أن الموت لايجىء الا عن عدوان « انسان آخر » • وأن المرض هو « انتقام روح خفية » • ولكن روح الميت وحدها هى التى تشعر بذلك العالم الخفى • لان الموت يعنى خروج الروح من الجسد وتحليقها فى عالم آخر •

وقد وجد فرويد أن قتل « الاب » كان منتشرا بين القبائل البدائية • وأن السبب فى القتل كان تخليد وعبادة الاب المقتول • وقد أدى هذا الى « الشعور بالذنب » لهذه الخطيئة الكبرى • ثم الى الاتجاه الى استخدام طوطم على شكل حيوان ، والاستغناء عن قتل الاب • ويلاحظ هنا أيضا أن فكرة قتل الاب ، أو زعيم القبيلة . قد جاءت لضمان تجديد شبابها وخروج أجيال قوية تالية عندما يطعن الاب أو الزعيم فى السن •

ويسمى فرويد هذه المرحلة ، مرحلة تكالب الابناء على الاب . وتغلبهم عليه . بالمرحلة « الطوطمية » • ويقول أن هذه المرحلة كانت بداية نشأة القيود ، التى فرضتها الجماعة على افرادها لايجاد النظام الذى أدى بعد ذلك الى القانون •

ووجد فرويد أن المجتمعات البدائية قد ظلت جامدة لم تتطور

« لان الجماهير لاتقبل عادة التغيير ، وتستسهل السير على الماضى » وأن هذه المجتمعات البدائية تستبد بها على الدوام ، سواء فى تفكيرها أو فى قوانينها ، فكرة الفحش .

كذلك وجد فرويد فى النار « مغزى جنسى » عند البدائيين . وقال : ان الرغبة تستبد بالرجل البدائى لمحاولة اطفائها بالتبول عليها . لان فى التبول « اطفاء جنسى لغريزته » وتمثيل لقوته الجنسية أمام أفراد قبيلته . ولهذا نجد أن « المرأة الكاهنة » هى التى اختيرت دائما ، ومن دون الرجل ، لحراسة النار المقدسة .

وفى ١٩١٦ ، نشر فرويد كتابه « ليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci دراسة سيكو جنسية عن ذكريات طفولته » . وفى هذا الكتاب ، الذى كتبه فرويد منذ ١٩١٠ وطبق فيه نظريات التحليل النفسى على مادرسه عن حياة وأعمال ليوناردو ، أرجع فرويد الابتسامات الشهيرة على تماثيل الفنان كـ « الموناليزا » و « سانت آن » وعجزه عن اتمام أعماله ، وتحطيمه لتمثال « فينوس ديه ميلو » بعد اتمامه له ، الى « صدمة جنسية » الحقت به وهو صغير .

وكان فرويد قد أبدى اعجابه وشغفه بليوناردو ، وكتب لفلييس منذ ١٨٩٨ : « وربما لم يتمتع ليوناردو ، أشهر أعسر فى تاريخ البشرية ، طوال حياته ، بعلاقة غرامية » .

والمعروف أن ليوناردو كان ابنا غير شرعى لام فلاحة ، هى كاترين ، وأب شاب كان يطلب العلم فى فلورنسا . فلما ترك الاب المدينة ، احتضنت الام ابنها بشدة فى غيبة أبيه ، حتى أصبح الاب

محاميا . وتزوج من سيدة أخرى هي دونا البيرا • ولكن الزوجة الجديدة لم تنجب أطفالا . مما دعا الاب الى نزع الابن وهو فى حوالى الرابعة من عمره من والدته وتسليمه لزوجته •

ومع أن الام الجديدة كانت كريمة مع ليوناردو . فان حب ليوناردو لامه كان قد اتخذ طابعا « نسبقيا » أدى الى تقمصه لشخصية أمه . واختياره للموضوعات المرادفة لها • وكذلك لكبت شديد للجنس ثم انحراف به . احتقار له • ثم تسام بغريزته الى الاستطلاع وحب المعرفة • وأما الحرمان الابوى . فقد أدى الى اهماله لصورة (ابنائه ؟) ونبذ السلطة « الابوية » واتخاذ موقف المعارضة الدائمة •

ويقول فرويد أن آثار هذه الحياه قدظهرت واضحةفىحب ليوناردو للحياة الرغدة . والجميلة . وابتعاده عن النساء . واعجابه بجمال الاطفال • ثم التردد والتأخير فى اتخاذ القرارات • وتناقض النظرة فى صورة وظهور امرأتين معا مع طفل واحد فى صورة « العذراء وحنة » •

يقول فرويد عن كاترين والدة ليوناردو :

« لقد فقدت الام زوجا ، فعوضت هذا بالطفل الذى انجبته منه • وحنت عليه بأكثر مما تحنو الام عادة على ابنها • حتى حرمته من قوته الجنسية فى سن متقدمة » •

الى أن يقول :

« وهكذا فقد الابن خيالاته الطبيعية وركزها في والدته • وظهرت آثار هذا على وجوه تماثيله ذات الجنس المزدوج » •

وفى ١٩٢٠ نشر فرويد كتابه « ما وراء مبدأ اللذة

« Tenseits des Lust Princips » الذى أكد فيه أن البحث عن السعادة وتجنب الالم هى التى تحكم وتوجه تصرفات الانسان • والى أن الفرد يحتاج دوما الى أن يشبع الدوافع الليبيدية لغرائزه . والى أن يخفض توتراته وقلقه ، بالاستجابة لها أو التسامى بها • ولكن الانسان لايستطيع ، مع ذلك ، أن « يحتمل اللذة المتصلة » أو « السعادة المفرطة » • Massenpsychologie und Ich - Analyse

وقد نشر فرويد بعد ذلك بعامين . أى فى ١٩٢٢ . كتابه الصغير والهام « سيكلوجية الجماهير وتحليل الايجو (الانا) Massenpsychologie und Ich - Analyse » !الذى حاول فيه أن يدرس الروابط التى تربط بين افراد الجماعة وبين رئيسها • وانتهى فرويد الى أن « الدوافع الليبيدية » هى أساس تلك الروابط • وأنها تربط بين أفراد الجماعة . وبينهم وبين رئيسهم • وأن أفراد الجماعة يشتركون فى « وهم » يتلخص فى أن رئيسهم « يحب أفراد جماعته حبا متساويا » • وأن هذا الحب هو الذى تقوم عليه روحهم المعنوية • وأنه اذا ظهر لهم أن رئيسهم يفضل بعضهم على البعض الآخر ، انهارت تلك الروح •

وفى ١٩٢٣ ، نشر فرويد كتابه عنالشخصية الانسانية « الايجو والايد Ego und Id » • فجعل منها ثلاث طبقات • هى الايجو (الانا) والايد (الهو) والسوبر ايجو (الانا الاعلى) • وطبقة الايد (الهو) هى ، على ماذكرنا . الطبقة الغريزية الاولى . والتى تحتاج منا الى تلبية فورية • وطبقة الايجو (الانا) هى الطبقة الثانية . التى تزن رغبات الطبقة الاولى مسترشدة بشرائع المجتمع

وتسمح بما يمكن تحقيقه منها • واما الطبقة الثالثة فهى السوبر ايجو (الانا الاعلى) . التى تنبع من داخل الانسان ، وتزن رغائبه بميزان الاخلاق والضمير الخ • وقد وجد فرويد أن الصراع بين الطبقات الثلاث قد يحتدم . وقد يؤدى الى القلق ؛ ولكننا لانشعر به فى صحونا . وانما تفضحه أحلامنا •

وفى ١٩٣٠ نشر فرويد كتابه « أمراض التمدن Zivilisation und seine Unzufriedenheit » الذى بحث فيه أمور الحب والسعادة الانسانيين . وقيود المدنية . وأمراضها • وقد كشف فرويد فى هذا الكتاب عن نفس متشائمة غاية التشائم ، حاول النقاد ارجاعها الى حالته الصحية المتدهورة أو الى الحالة السياسية غير المستقرة وقتذاك فى أوروبا •

وقد فرق فرويد فى كتابه بين الحضارة والثقافة • وقال أن الاولى نتيجة للثانية • وعدد سمات الدولة المتحضرة ؛ فقال أن كل شىء فيها « يستغل ويستثمر لصالح الانسان . ويساعد على حمايته من الطبيعة » • وأن الانسان فيها يحاط برعاية كاملة • ومهاراته توجه لهذا السبب الى مابيدو أنه أشياء غير نافعة ، كزراعة الحدائق والمتنزهات ، وبناء الملاعب الخ •

وقال ان الدولة المتحضرة هى تلك التى تولى الانشطة الفكرية اهتماماتها • « ولكن أهم مايميز الدولة المتحضرة هو قيامها على شىء من الزهد والارتفاع عن اشباع الغرائز » •

وقال فرويد أن الدولة المتحضرة تتميز أيضا بالنظام « لان للنظام فوائد • وهو يمكننا من استخدام المكان والزمان على الوجه

أحب فـــرويد موسى واعتبره

مصـــريا لا عبريا

الاكمل ، ويغنينا عن بذل الطاقة الذهنية من دون طائل » .

يقول فـــــرويد :

« حقيقى ان التمدن يتقبل الحب ، بل ويرفعه ارفـــع مكانة . ولكن مكان الحب فى حياتنـــا المعاصرة يصغـــر شيئا فشيئا . (وهذا لان) اغراض الحب تتعارض ، فى الحقيقة ، مع اغراض التمدن . كما أن هذا يحاول عـــلى الدوام فرض قيوده عـــلى مابقى لنا من حب في حياتنا » .

ويقول فـــــرويد :

« ان الانسان يبحثبغريزته عن السعادة .ولكن طبيعة تكوينه لاتسمح له بأن يرى منهـــا ، وبصعوبة ، وعن طريق مخـــالف لطبائع الحياة ، الا قليلا . وعلى النقيض من ذلك ، نرى الالام تلاحق الانسان في سهولة » .

الى أن يقول مفسرا مصدر هذه الالام:

« ان هناك ثلاث مصادر لهذه الالام . الاول هو جسم الانسان والثانى هو العالم الخارجى . والثالث هو علاقته بالاخـــرين ولهذا فانجهود الانسانفىالتخلصمن هذه الالامتزيدعن جهوده فى محاولة جلب السعادة لنفسه . وحتى اذا كانت طبيعتـــه الخاصة تسعى وراء سعادته ، فهو فى حياته المدنيـــة لا يكاد يحظى الا بتجنب الالام » .

وفى ١٩٣٩ نشر فرويد كتابه « موسى والتوحيد Der Mann Monotheistishé Relegion . وفى هذا الكتاب اعتبر فرويد موسى مصريا وليس عبريا . وأكد صراحة أن الايمان بالتوحيـــد كان كشفا مصريا خالصا . وقد اعتمد فرويد فى ما كتبه هنـــا على دراسات برستد Breasted التى توضح أن اخنـــاتون كان أول من نادى بالتوحيد .

وقد ذكر بريل : وهو من أوائل تلاميذ فرويد . أن فـــرويد كان « يتخيل نفسه » عن معرفة : أو عن غـــير معرفة . نبى اســـرائيل « الذى قاد شعبه بالصراحة الى الخلاص » • وقال أن تمثال مايكل أنجلو لموسى كان يملأ فرويد بالاعجاب والفخر «وخصوصا أصابع» التمثال التى تسند جانب الوجه » والتى تجعل من طريقـــة جلوس فرويد أقرب ما تكون الى طريقة جلوس موسى •

أهم مؤلفات فرويد

١٨٩٥	(بالاشتراك مع بروير) دراسات عن الهستيريا Studien uber Hysterie	
١٩٠٠	تفسير الاحلام	Die Traumdeutung
١٩٠١	سيكوباثولوجية الحياة اليومية Zur Psychopathologie des Altagslebens	
١٩٠٥	ثلاث مقالات فى نظرية الجنس Drei Abhandlungen Zur Zexualtheorie	
١٩١٠	حول التحليل النفسى	Uber Psychoanalyse
١٤/١٩١٣	الطوطم والتابو	Totem und Taboo
١٩١٤	مقدمة في حب الذات Zur Einfuhrung des Narzissmus	
١٩١٦	ليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci دراسة سيكو جنسية عن ذكريات طفولته	
١٩٢٠	ماوراء مبدأ اللذة	Tenseits des Lustprinzips
٢٢/١٩٢١	سيكلوجية الجماهير وتحليل الايجو (الانا) Massenpsychologie und Ich - Analyse	
١٩٢٣	الايجو (الانا) والايد (الهو)	Ego und Id
١٩٢٦	مسألة التحليل النفسى	Die Frage der Laienanalyse
١٩٢٧	مستقبل وهم	Zukunft der ein Illusion
١٩٣٠	أمراض التمدن Zivilisation und Seine Unzufriedenheit	
٣٨/١٩٣٤	موسى والتوحيد Der Mann Moses und die Monotheistische Religion	

اهم المراجـــع

(بالاضافه الى اعمال فرويد فى اللغات الانجليزية والالمانية والفرنسية)

أحمد عكاشـــه : علم النفس الفسيولوجى والطب النفسى المعاصر

سلامه موسى : عقلى وعقلك

سيجموند فرويد : (ترجمه د. أحمد عكاشه مع مقدمه) :

ليوناردو دافنشى

(تلخيص د. عبـد المنعم الحفنى) : الحـــرب والحضـاره والحب والموت .

Allenberger The Discovery of the Unconscious

Jones Life of Freud

Klein The Psychoanalysis of Children

Klein & Riviere Love, Hate and Reparation

Ludwig Doctor Freud

Mannoni Freud

Rycroft Psychonalysis Observed

A Criticel Dictionary of Psychoanalysis

ichs Freud, Master and Friend

The Life of Freud

Freud

الفهـــرست

نشأة فرويد تصوغ حياته وأفكاره	٥
هاو للفلسفة ودارس للطب	١١
حالة المريضة « أنا أوه Anna O »	١٧
من التنويم الى التحليل	٢٥
دور الجنس فى الاحـــلام	٣١
الكشف عن مركب أوديب	٥٥
القلق النفسى يولد النيوروز (العصاب)	٦٣
فرويد يدرس الفنون ويحلل الشخصية الانسانية	٦٩
تواريخ فى حيـــاة فرويد	٧٥
بعض سلبيات وايجابيات الفرويدية	٧٩
كتابات فرويد حتى الحرب العالمية الاولى	٨٥
المرحلة المتأخرة لكتابات فرويد	٩٣
أهم مؤلفات فـــرويد	
أهم المراجـــع	

نعتذر لاختلاط موضعى الصورتين بصفحتى ١٣ و ١٩

المستقبل بالقاهرة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت

To: www.al-mostafa.com